وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: العلوم الاجتماعية

المعرفة و السلطة في نقد ادوارد سعيد للاستشراق

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في الفلسفة العامة

تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطالبتان:

دادة أسماء / طواهرية مسعودة

إشراف الأستاذ:

د. قاسمي عبد الناصر

نوقشت المذكرة علنا يوم:

أمام اللجنة المكونة من الأساتذة:

اللجنة	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. محمد العيد بسي	أستاذ محاضرات	جامعة الشهيد حمه لخضر	رئيسا
د. قاسمي عبد الناصر	أستاذ محاضرات	جامعة الشهيد حمه لخضر	مشرفا و مقررا
د. عبد الله الزين	أستاذ محاضرات	جامعة الشهيد حمه لخضر	ممتحنا

السنة الجامعية: 2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان:

يقول االله تعالى " لئن شكرتم لازيدنكم"

احمد لله رب العالمين على نعمه الظاهرة والباطنة وتوفيقي لانجاز هذا البحث.

واعترافا بالفضل وتقديرا للجميل لا يسعني إتمام إعداد هذا البحث إلا أن أتوجه بالشكر إلى الأستاذ المشرف الذي كان حافزا ومنبعا لجهدي الأستاذ الدكتور: " قاسمي عبد الناصر"

لقبوله الإشراف على الرسالة، وعلى توجيهاته السديدة، ونصائحه الدقيقة، وملاحظاته القيمة، وتساؤله المستمر عن هذا العمل الذي اعتبره عمله فلم يدخر جهدا لأجله حتى يتم في أحسن الظروف، وكل ذلك

بطلاقة وجه ورحابة صدر، فجزاه االله عني خير الجزاء، وبارك االله له في وقته وعمله، مع التمني له دوام التفوق والنجاح إلى أعلى المراتب في مشواره العلمي.

كما أتقدم بالشكر وعظيم الامتنان لأساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

وأتقدم بالشكر والعرفان إلى الأساتذة "لجنة المناقشة" الذين تحملوا عناء قراءة وتفحص المذكرة

والى كل اللذين غمروني برحابة صدر وتابعوني بصدق ويسرو لي الطريق في إعداد هذه المذكرة

التي نرجوا أن تكون مرجعا يستفاد منه.

اهداء :

"وآخِرُ دَعْوَاهُمُ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ" الحمد لله عند البدء وعند الختام من قال أنا لها نالها" ...

لقد كانت طريقًا طويلًا مليئة بالإخفاقات والنجاحات فخورين بكفاحنا لتحقيق أحلامنا.

لحظة لطالما انتظرتها وحلمت بها في حكاية اكتملت فصولها إلى من علمني العطاء بلا انتظار إلى من أحمل إسمه بكل افتخار إلى من كل الله بالهيبة والوقار والدي العزيز.

إلى حبيبتي قرة عيني إلى القلب النابض إلى من كانت دعواتها الصادقة سر نجاح أمي الغالية إلى حبيب قلبي ابن أختي.

إلى أخواتي وأخي سندي في الحياة ها أدامكم الله ضلعًا ثابتًا لي إلى كل فرد من أفراد العائلة وإلى كل أصدقائي بدون استثناء إلى كل الأساتذة الأفاضل الذين قدموا لنا يد المساعدة إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل وفقني الله وإياكم إلى الخير.

مسعودة

اهداء :

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى من أوصاني بهمة الله وإحسانا والدي الكريمين، أطال الله في عمرهم، وألبسهم لباس الصحة والعافية.

إلى من جمعنا مع بيت واحد وكانوا خير سند أخوتي الأعزاء كل باسمه، وأختص

إلى رفقاء الدرب من غادرونا وبقيت كلماتهم وقعوا في آذاننا.

إلى من علمني حرفيا الثلاثين مساري ولم يخل بعطاءه، أساتذتي الأفاضل كل باسمه

ومقامه.

إلى نفسي الذي يرعى النجاح، أصبري وصبري فلا يزال الطريق طويلًا إلى كل من تسع قلبي لهم وضاقت هذه الورقة عن ذكرهم، أهديكم عمل المتواضع عرفا لكم بالجميل، وتقديرا لجهودكم.

اسماء

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع "الاستشراق" بوصفه ظاهرة معرفية وثقافية معقدة، ترتبط بتشكل الخطاب الغربي حول الشرق، وتمتد جذورها إلى صلب العلاقة بين السلطة والمعرفة. ومن خلال مقاربة تحليلية نقدية، يسعى البحث إلى تتبع دلالات الاستشراق وتطوراته التاريخية، مع التركيز على الأطروحة المركزية التي قدمها إدوارد سعيد، بوصفه أحد أبرز المفكرين الذين فككوا بنية هذا الخطاب وفضحوا آلياته التمثيلية. ينقسم البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية. يخصص الفصل الأول لتحديد دلالات الاستشراق ومحطاته الكبرى، بدءًا من ضبط المفهوم لغويًا واصطلاحيًا، مرورًا بنشأته وتطوره في السياق الأوروبي، وصولًا إلى المواقف المتباينة التي رافقت ظهوره، بين من اعتبره مشروعًا علميًا محايدًا، ومن رآه أداة هيمنة ثقافية استعمارية. أما الفصل الثاني، فيرصد ماهية الاستشراق في فكر إدوارد سعيد، من خلال تقديم قراءة نقدية لمفهوم الاستشراق كما تصوره سعيد، باعتباره خطابًا مؤسسيًا يخضع لمنطق الهيمنة. ويتطرق هذا الفصل إلى المفارقة التي رسمها سعيد بين "الاستشراق الكامن" و"الاستشراق السافر"، باعتبارها مفتاحًا لفهم البنية الأيديولوجية التي تحكم التمثلات الغربية للشرق، كما يستعرض كيفية بناء الغرب لصورة "الآخر الشرقي" بوصفه نقيضًا وجوديًا وثقافيًا للذات الغربية. في حين يتناول الفصل الثالث الجدل المعرفي–السلطوي في الخطاب الاستشراقي، متتبعًا تمفصلات العلاقة بين إنتاج المعرفة وممارسة السلطة، انطلاقًا من فوكو وسعيد، مع إبراز كيف يتحول الاستشراق إلى أداة لإعادة إنتاج تبعية الشرق ضمن منظومة رمزية قائمة على الامتياز والهيمنة.

مقدمة:

مقدمة:

شهدت العلاقة بين الشرق والغرب تفاعلات تاريخية معقدة، تميزت في كثير من مراحلها بعدم التوازن والتمركز حول الذات الغربية، ما أدى إلى بروز مجموعة من التصورات النمطية حول الشرق. وقد ساهمت هذه التصورات في بناء خطاب استشراقي غربي أنتج معرفة مشروطة بمحددات ثقافية، سياسية، وإيديولوجية. هذا الخطاب لم يكن معزولًا عن موازين القوى العالمية، بل كان، كما كشف إدوارد سعيد في دراسته النقدية، جزءًا من مشروع هيمنة يتجاوز حدود الثقافة ليطال عمق البنية المعرفية الغربية في تعاملها مع "الآخر" الشرقي. ومن هنا، أصبح الاستشراق ليس مجرد موضوع للدراسة، بل مدخلًا لفهم آليات السلطة والمعرفة في علاقتها بالتمثيل والسيطرة.بناءً على ما سبق، تطرح الدراسة الإشكالية التالية: كيف وظف إدوارد سعيد العلاقة بين المعرفة والسلطة في نقده للخطاب الاستشراقي، وما هي تجليات هذه العلاقة في بناء التمثلات الغربية للشرق؟

وتتفرع من هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما المقصود بالاستشراق وما أبرز محطاته التاريخية؟
- كيف عرّف إدوارد سعيد الاستشراق وما أهم الانتقادات التي وجهها له؟
- ما الفرق بين الاستشراق الكامن والاستشراق الظاهر؟
- ما دور المعرفة في خطاب الاستشراق حسب رؤية سعيد؟
- كيف تتجلى السلطة في هذا الخطاب؟
- كيف تتداخل المعرفة والسلطة في بناء صورة الشرق في الفكر الغربي؟

من الإشكالية المطروحة، تفرض الدراسة ما يلي:

- يُعدّ الخطاب الاستشراقي، كما كشفه إدوارد سعيد، خطابًا غير محايد يقوم على قرض الهيمنة الغربية على الشرق.

- تتجلى السلطة في الخطاب الاستشراقي من خلال إنتاج معرفة مشوهة تبرر الاستعمار الثقافي والسياسي.
- العلاقة بين المعرفة والسلطة في خطاب الاستشراق علاقة بنيوية تهدف إلى السيطرة على الآخر وتثبيت المركزية الغربية.
- الاستشراق ليس مجرد تمثيل ثقافي، بل ممارسة سلطوية تستند إلى خلفيات تاريخية استعمارية.

تتجلى دوافع اختيار هذا الموضوع في عدة اعتبارات، أهمها راهنية الطرح الذي قدمه إدوارد سعيد، خاصة في ظل استمرار تمثيل الشرق بصورة نمطية في وسائل الإعلام والخطابات السياسية والثقافية المعاصرة. كما أن أهمية الموضوع تظهر في كونه يعالج إشكالية فكرية ومعرفية ذات أبعاد متعددة: سياسية، ثقافية، أكاديمية. وقد وقع الاختيار على فكر سعيد تحديدًا نظرًا لما أحدثه من تأثير كبير في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكونه أحد أبرز مؤسسي دراسات ما بعد الاستعمار.

تهدف هذه الدراسة إلى:

- تحليل مفهوم الاستشراق في فكر إدوارد سعيد.
- إبراز الأبعاد المعرفية والسياسية للخطاب الاستشراقي.
- الكشف عن العلاقة الجدلية بين المعرفة والسلطة في تمثيل الشرق.
- المساهمة في فهم نقدي لآليات إنتاج تشكل الصورة الثقافية للغير في الخطاب الاستشراقي.

أما أهمية البحث فتكمن في كونه يساهم في إثراء الأدبيات الأكاديمية حول الاستشراق، ويساعد على تصحيح بعض المفاهيم السائدة، كما يوفر مرجعية فكرية تساعد على إعادة النظر في العلاقة بين الغرب والشرق، من منظور نقدي يُعيد الاعتبار للذات الثقافية غير الغربية.

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج السردي، الذي يسمح بفهم البنية المعرفية والإيديولوجية للنصوص الاستشراقية، من خلال التركيز على اللغة، التمثيل، وسياق الإنتاج. كما تم توظيف المنهج النقدي للكشف عن أبعاد الهيمنة والسلطة الكامنة في تلك النصوص. وتم دعم ذلك بالرجوع إلى المنهج التاريخي لتتبع تطور الاستشراق وسياقه السياسي والثقافي، بالإضافة إلى المنهج المقارن عند الحاجة للمقارنة بين تمثلات متعددة للشرق في الخطابات المختلفة.

واجه البحث بعض الصعوبات، أبرزها ندرة المصادر العربية التي تتناول إدوارد سعيد من منظور علمي أكاديمي معمق، إضافة إلى تشعب الموضوع وتعدد أبعاده النظرية والفكرية، ما تطلب جهدًا كبيرًا في تصنيف المادة العلمية وتحليلها. كما تطلب فهم أعمال سعيد خلفية معرفية فلسفية ونقدية معقدة، خصوصًا في ما يتعلق بنظرياته حول التمثيل والسلطة. جاءت هذه الدراسة مقسّمة إلى ثلاثة فصول رئيسية:

- **الفصل الأول:** تناول المفاهيم العامة للاستشراق، نشأته، وتطوره، وموقف الباحثين العرب والغربيين منه.
- **الفصل الثاني:** خصص للتعريف بإدوارد سعيد ومفاهيمه المركزية حول الاستشراق، خصوصًا تمييزه بين الاستشراق الكامن والظاهر، وبنية الخطاب التمثيلي.
- **الفصل الثالث:** عالج العلاقة بين المعرفة والسلطة في خطاب الاستشراق، كما فصّلها سعيد، وأبرز مظاهر هذه العلاقة في إنتاج صورة مشوهة عن الشرق.

الفصل الأول

الاستشراق دلالاته و محطاته

مدخل:

أولا : مفهوم الإستشراق

ثانيا : نشأة الاستشراق و تطوره

ثالثا : الاستشراق بين الرفض و القبول

مدخل:

الاستشراق ليس مجرد تيار فكري، بل هو مدرسة ذات أبعاد متعددة، تتسم بخصائص محددة وتحركها دوافع متنوعة، مما يجعل دراستها عملية معقدة تتطلب فهمًا عميقًا وتحليلًا دقيقًا. فمنذ ظهوره، انطلق الاستشراق من رغبة الباحثين الغربيين في دراسة الشرق بمختلف جوانبه، سواء الثقافية أو التاريخية أو الدينية، إلا أن هذه الدراسة لم تكن دائمًا موضوعية، بل تأثرت في كثير من الأحيان بالخلفيات الفكرية والسياسية والاستعمارية للباحثين. وبالتالي، لم يكن الاستشراق مجرد محاولة أكاديمية لفهم الشرق، بل كان أيضًا وسيلة للتأثير عليه وتوجيه نظرة الغرب نحوه وفق تصورات معينة. إن فهم أبعاد هذه المدرسة الفكرية يتطلب البحث في دوافعها، التي تتراوح بين الفضول العلمي الصادق والرغبة في المعرفة، وبين الأهداف الأيديولوجية والسياسية التي سعت إلى إعادة تشكيل صورة الشرق وفق مصالح معينة، كما أن الأساليب التي استخدمها المستشرقون تنوعت بين الدراسات اللغوية والبحث في النصوص التاريخية والدينية، وصولًا إلى تحليل البنى الاجتماعية والسياسية للمجتمعات الشرقية، وهو ما يعكس طابعها المعقد والمتداخل، إضافة إلى ذلك، فإن الاستشراق شهد تحولات كبيرة وفقًا للظروف التاريخية والسياسية، مما يجعل من الصعب على الباحثين الإحاطة بكل تفاصيله وتتبع تطوراته بدقة.

أولا : مفهوم الاستشراق

يتكرر مصطلح "الاستشراق" في الخطاب الإكاديمي والثقافي و حتى الاعلامي، وخاصة في سياق الحديث عن الغزو الفكري أو التأثيرات الثقافية الغربية في الشرق، حيث يرى البعض فيه أداة من أدوات السيطرة والهيمنة، بينما يعتبره آخرون مجهودًا علميًا موضوعيًا لدراسة الحضارات الشرقية، لا سيما أولئك الذين تلقوا تعليمهم على يد مستشرقين وتأثروا بمنهجياتهم البحثية الدقيقة، ومن المفيد عند محاولة فهم دلالة هذا المصطلح أن نعود إلى تعريفات المستشرقين أنفسهم، فهم أول من صاغوه ووظفوه في الدراسات الأكاديمية. من بين هؤلاء المستشرق الألماني رودي بارت، الذي يرى أن "الاستشراق هو علم يُعنى بفقه لغة خاصة"، ويقترح أن مصطلح "الاستشراق" مشتق من كلمة "شرق"، والتي تعني في معناها اللغوي منطقة شروق الشمس، وبالتالي فإن الاستشراق يُفهم على أنه "علم الشرق" أو الدراسة العلمية للعالم الشرقي[1].

يميل المستشرقون إلى متابعة علوم الشرق والتخصص في معرفته. تم استخدامه لأول مرة في عام 1630 بعد الميلاد ، وتم تطبيقه لاحقًا على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية ، وعرفه قاموس اكسفورد الجديد بانه من تبحر في لغات الشرق وآدابه، ويستكشف علم الاستشراق تطور الفكر الإنساني ، وكخطوة أولى نحو إيجاد الروابط بين الشرق والغرب ، يستكشف الاختلافات بين الشرق والغرب من خلال دراسة اللغات والفنون والعادات والمعتقدات، واستعملت كلمة الاستشراق لأول مرة في معجم الأكاديمية الفرنسية سنة1838 م بعد أن شاع استعمالها وأصبحت اللفظة دالة على التخصص في الثقافات الشرقية. يشير تاريخ ظهور كلمة الاستشراق واستخدامها لأول مرة إلى أنها أكثر عمومية وشمولية من المعنى المعطى لاحقًا ، وأن المهمة الأصلية لعلم الاستشراق ذات طبيعة ثقافية استكشافية.

1–هاشم، أبو الحسن علي. "الاستشراق والاستغراب." مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، السنة 25، العدد 25، 2016، الصفحات 317–341.ص 319.

1- الاستشراق لغة :

لفظة استشراق مأخوذة من الفعل الثلاثي شَرَقَ، أضيفت له ثلاث حروف الألف السين، التاء ، والسين في كلمة استشراق تفيد الطلب[1] أي طلب دراسة ما في الشرق من آداب ولغات وأديان، و قد جاء في لسان العرب:[2]

شَرَق: شَرَقَتِ الشَّمْسُ تَشْرُقُ، شُرُوقاً ، وشَرْقاً طلعت، واسم الموضع المشرق .

يقال: شَرُقَتْ الشمس إذا طلعت وأَشْرَقَتْ إذا أضاءت ، والشَرْقُ :الأخذ من ناحية المشرق .

وشَرَّقُوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق.

والشَّرْقِي: الموضع الذي تَشْرُقُ فيه الشمس من الأرض.

وأَشْرَقَتِ الأرض، أنارت بإشراق الشمس" وأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُور رَبِّهَا". سورة الزمر 69 .

2- الاستشراق اصطلاحيا:

يعتبر مصطلح "استشراق" في المعاجم الحديثة يشير إلى العناية والاهتمام بشؤون الشرق وثقافته ولغاته. كما يمكن أن يُستخدم للإشارة إلى توجه نحو الشرق أو الاهتمام بالأشياء الشرقية. المصطلح يُعتبر مرادفًا للكلمة الفرنسية"Orientalisme"، والتي تعني الاهتمام بالأشياء الشرقية. ويشير مصطلح "استشراقي (Orientaliste) "إلى الشخص المتخصص في دراسة اللغات والآداب الشرقية[3]. كما يُستخدم لوصف الأوروبيين المهتمين بالدراسات الشرقية. [4]بينما يُعبر مصطلح "استشراقيّ (Orientalisant) عن الشخص المتأثر بالثقافة

1-عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ، دار النهضة العربية – بيروت – ص 40 .

2-ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار صادر ، لبنان ، ط 1،1300 هـ . مج 4 ، باب شرق ، ص 2244 .

3-سهيل إدريس ، المنهل ، قاموس فرنسي عربي ، دار الأدب – بيروت- 2010، ص810.

4-أحمد مختاري ، معجم اللغة العربية ، دار الكتاب ، القاهرة ، ط 1،1429 هـ2008/م ، مج 1، ص1192.

الشرقية[1]. وعند النظر إلى المعاجم الغربية، نجد أن معنى كلمة "استشراق" لا يختلف عن المعاني الموجودة في المعاجم العربية الحديثة. ففي قاموس"Le Petit La Rousse"[2] ، يُشير "استشراق" إلى مجموعة المعارف التي تركز على دراسة الحضارة الشرقية، ويُمكن أيضًا استخدامه لوصف توجه أيديولوجي يخدم القضايا السياسية. ويعتبر "المستشرق" الشخص المتخصص في دراسة الحضارة الشرقية. بالإضافة إلى ذلك، في قاموس"Le Robert"[3]، يُعرف "الاستشراق" على أنه علم الأشياء الشرقية أو تذوق الأشياء الشرقية. وفي قاموس"Le Littré"[4]، يشير إلى مجموع المعارف والأحكام الفلسفية الخاصة بالشعوب الشرقية، ويُستخدم "المستشرق" لوصف الشخص المهتم بالمعارف واللغات الشرقية.

ذهب العلماء في تعريفهم للاستشراق مذاهب عدة، فمنهم من ربط تعريفه بموضوع الدراسة الذي لا يخرج عن نطاق الشرق، ليكون مدلوله بذلك كل دراسة غربية اختصت بدراسة عالم الشرق من حيث لغاته وآدابه التي تعتبر صورة ناطقة عن هوية المجتمع الشرقي :يراد بالاستشراق ما يقوم به الغربيون من دراسة لتاريخ الشرق، وأممه، وعلومه وعاداته، ومعتقداته، وأساطيره[5]،ومنهم من ربط تعريفه بهوية صاحب الدراسة المختصة شؤون المسلمين وأحوالهم وعلومهم ومعارفهم، والذي لابد أن يكون من غير المسلمين سواء كان هذا الدارس من الشرق أو ،الغرب، فالاستشراق: هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغض النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية.[6] هذا وقد ذهب بعضهم إلى التعمق في مفهوم الاستشراق ليخرج به عن المعتاد والتقليدي، ولعل أشهرهم إدوارد سعيد الذي أسهب في تحري حقيقة الاستشراق الذي عده: أسلوب للخطاب،

1-سهيل إدريس ، المنهل ، مرجع سابق، ص 851.

2-Le petit la rousse illistre ،Atlas ،Géographique ،Drapeaux du monde ،Paris ،2008 ،p 719.

3-Le robert،Dictionnaire historique de langue français ،Paris ،1992 ،p 1382. .

4-Le Littré ،Dictionnaire de la langue français ،2001 ،p 1130.

5-جابر قميحة ، آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم ، مجلة دعوة الحق ، مكة المكرمة ، عدد 116 ،1412 هـ 1991/م ، ص 15 .

6-علي بن ابراهيم الحمد النملة ، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، مكتبة التوبة ، الرياض ، السعودية ، ط 1 ،1418 هـ1998/م ، ص 122.

أي للتفكير والكلام، تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية، وصور ومذاهب فكرية، بل وبيروقراطية استعمارية، وأساليب استعمارية [1].

ويخرج إدوارد سعيد بهذا التعريف عن منحى التعاريف السابقة ليجعل من الاستشراق طريقة ومذهبا للتواصل بين المخاطب والمتلقي، يقوي دعائمه مجموعة من المؤسسات التي تسهر السلطة الاستعمارية إدارية كانت أو حكومية، على تمتين صلتها بعالم الشرق سواء بالوسائل العلمية التي ركزت جهدها لاستنزاف العقل الشرقي، أو بالأساليب الاستعمارية التي يستغلها الغرب لنهش الشعوب المستضعفة. وبهذا يكون إدوارد سعيد قد وثق العلاقة القائمة بين الاستشراق ومشروع الاستعمار الكبير الذي استهدف عالم الشرق. ويعتبر بعض المفكرين الاستشراق علما قائما بذاته يسعى بطرق علمية لدراسة معالم الشرق، وما يتصل بحياة شعوبها لمعرفة أمزجتهم، والتعرف على عقلياتهم واستكشاف بيئتهم العمرانية، وما سجلته في قاموسها من آثار ساهمت في تغيير مسيرة البشرية على مر العصور ف: الاستشراق على إطلاقه ظاهرة ثقافية وحركة علمية تهتم بدراسة كل ما يتعلق بالشرق وحضارته من قوى روحية وآثار فكرية وأدبية وفنية وما إلى ذلك كله، من أثر ظاهر شاهد على الحياة البشرية، خليق بأن نحييه طباعة ونشرا [2] .

وقد جانب آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer أيضا هذا المفهوم في قوله: الاستشراق ومثله في ذلك مثل كثير من فروع العلم الأخرى، قد تخطى حدوده إلى ميادين تنتمي في حقيقتها إلى علوم أخرى مستقلة عنه، وإن كانت مجانسة له حتى إن المستشرق يشارك في علمه عالم الآثار، والحفريات، والفيلسوف وعالم اللاهوت والموسيقى والفنان[3]. وهو متسع النطاق يتداخل ميدانه مع ميادين العلوم الأخرى، ويتسع مجاله لضم أبحاث ودراسات علماء الآثار، والحفريات، والصوتيات واللغة، والفلسفة، وحتى الموسيقيين والفنانين .

1-إدوارد سعيد ، الاستشراق ، ترجمة محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2006 1م – ص 44.

2-محمد العربي ،معريش الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، 1 ،2003م ، ص 27 .

3-أحمد سمايلوفيتش ، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة 2001 ص 22.

ويعتبر الاستشراق إلى ذلك من أهم العلوم لأنه يرصد الروح الإنسانية، ومدى قابليتها لمواجهة التغيرات التاريخية التي حصلت عبر أزمنة متواترة ولأنه يساهم في : الوقوف على قواه الروحية، وآدابه العظيمة ، التي أسهمت إسهاما فعالا في تكوين ثقافة العالم بأسره [1] ، وإلقاء الضوء على مكتنزات الحضارات القديمة وما تحمله بين طياتها من أسرار خفية، ساهمت في تكوين البناء الحضاري العالمي وتطوير نهضته الحديثة. ويدعم جويدي اغناسيو Ignazio Guidi هذا الرأي بقوله: "والوسيلة لدرس كيفية النفوذ المتبادل بين الشرق والغرب، إنما هو علم الشرق ..." وعلم الشرق هذا علم من علوم الروح SCIENCES DE L'ESPRIT يتعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها، ثم يستفيد من البحوث الجغرافية والطبيعية [2].

3-أهداف الإستشراق:

تتداخل الدوافع مع الأهداف لتشكل كيانًا واحدًا، إذ كان الدافع الأساسي للاستشراق مرتبطًا بالأهداف التي سعى إلى تحقيقها. فقد أدرك رجال الدين المسيحي أن قوة الإسلام جذبت الناس إلى اعتناقه، وسيطرته على أراضٍ كانت تدين بالنصرانية وحدها، مما أدى إلى تقلص أعداد المسيحيين فيها. أثار ذلك مخاوفهم على مكانتهم ومصالحهم الدينية والدنيوية، مما أجج أحقادهم، ودفعهم إلى الوقوف في وجه الإسلام دفاعًا عن النصرانية. وهكذا، كان الهدف الديني للاستشراق مدفوعًا بالرغبة في فهم الإسلام لمحاربته وتشويهه، ومنع النصارى من الاقتراب منه، إلى جانب السعي لتنصير المسلمين، مما جعل هذا الهدف في مقدمة أولوياتهم. أما الأهداف الأخرى، كالتنصير، والاستعمار، والمصالح الاقتصادية، ونشر الثقافة الغربية، فقد كانت جميعها تصب في خدمة الهدف الأساسي، وهو الهدف الديني. وقد لجأ المستشرقون إلى وسائل وأساليب متعددة لتحقيق هذه الأهداف، والتي سأذكرها لاحقًا، بإذن الله، بعد استعراض الآثار المترتبة على توجهاتهم.

1-أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 24 .

2-أحمد سمايلوفيتش، مرجع سابق، نفس الصفحة.

أولاً / الهدف الديني:

لقد كانت مهمة الاستشراق منذ نشأته تنقسم إلى قسمين ، الأول سياسي ، والثاني تبشيري، ومن أجل تحقيق هذا الهدف توجهت البعثات العلمية المسيحية إلى الأندلس ، والتي كان من ضمنها باباوات الكنيسة الذين سبق أن تعلموا في الأندلس بين عامي 1094م و1156م، قام بطرس المحترم بتأسيس فريق من المترجمين وكلفهم بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية. وقد انطلقت هذه المبادرة من الحاجة إلى فهم الإسلام بعمق من أجل مواجهته على مستوى العقيدة. لذلك، انكب المترجمون المسيحيون على ترجمة القرآن ودراسته بغرض تحليله ونقده [1]. وتقديم صورة كريهة عن الإسلام ، تمكن الكنيسة من الاحتفاظ برعاياه، والحيلولة دون دخولهم في الإسلام .وقد كانت الكنيسة تشعر بمرارة حقيقية تجاه المد الإسلامي، الذي سرعان ما وصل إلى القسطنطينية ، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية ، وما أفرزه ذلك من ظهور عصر النهضة الأوربية، التي كانت هي الأخرى معول هدم في بنية الكنيسة، والتفكير اللاهوتي. لذلك، لم يكن مفاجئًا أن تشن الكنيسة حربًا انتقامية ضد الإسلام، مستخدمة الاستشراق كأداة رئيسية، وفي هذا السياق، أنشأت مؤسسات في البلدان العربية، ظاهرها دعم الدراسات الاستشراقية، لكن هدفها الفعلي كان خدمة الاستعمار ونشر التبشير الكاثوليكي [2] .

يبرز الدافع الديني للاستشراق من خلال سعي النصارى إلى نشر المسيحية بين المسلمين عبر أنشطة تبشيرية مكثفة، وقد بذلوا جهودًا كبيرة لإبعاد المسلمين عن دينهم، سواء من خلال دفعهم إلى ترك الإسلام تمامًا أو التخلي عن تعاليمه كمصدر للحياة. ومن هذا المنطلق، أقبل المستشرقون على تعلم اللغة العربية ودراسة آدابها، مما أتاح لهم الاطلاع على العلوم الإسلامية والتعمق في مبادئ الإسلام ومصادره والتعرف على المجتمعات المسلمة. وبهذا الفهم، عملوا على وضع استراتيجيات تهدف إلى تشكيك المسلمين في

1–محمد اسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق، د س ن، ص 31 .

2– النعيم عبد الله، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، 1997، ص 19 .

عقيدتهم وتشويه صورة الإسلام في أذهانهم، لتسهيل عمليات التبشير ونشر الأفكار المسيحية بينهم [1]. فانضمت بذلك حركة الاستشراق، مع حركة التبشير لتكونا معول هدم للإسلام، وتنصير المسلمين عندما فشلت محاولاتهم في تنصير المسلمين ولم تتحقق آمالهم، لجأوا إلى استراتيجيات بديلة تهدف إلى زعزعة عقيدة المسلمين، وبث الشك في دينهم، وخلق قطيعة بينهم وبين أصولهم، مما يسهل عليهم تقويض كيانهم الإسلامي. وكما أُشير سابقًا عند الحديث عن نشأة الاستشراق، كان لليهود دور بارز في دعم حركة الاستشراق والتبشير.

ومن بين الشخصيات البارزة في هذا السياق، صموئيل زويمر Samuel Zwemer ، الذي ترأس مؤتمرات التبشير من الغرب إلى الشرق، وقاد حملاته التبشيرية على مدى ستين عامًا، حتى وفاته عام 1952م. وقد كشفت ساعاته الأخيرة عن انتمائه اليهودي العميق، حيث طلب حضور حاخام ليكون بجانبه أثناء احتضاره، مما أظهر ارتباطه الوثيق بجذوره اليهودية حتى اللحظات الأخيرة من حياته[2]. عند إدراك هذه الحقائق، ومعرفة أن معظم المستشرقين ينتمون في الأصل إلى الكنيسة، سواء كرجال دين أو كتلاميذ لها، يتضح أن دراستهم للإسلام لا تخلو من تحيزات دينية عميقة. فمن الصعب على الكثير منهم، خاصة المتدينين، أن يتجردوا تمامًا عند تناولهم للدين الإسلامي، الذي ينكر عقائد أساسية في المسيحية، مثل التثليث والصلب والفداء، ويفندها بالأدلة. كما أن من الصعب عليهم تجاهل حقيقة أن الإسلام انتشر في العديد من مناطق الشرق، وأدى إلى تراجع الوجود المسيحي فيها، مما يجعله في نظرهم منافسًا قويًا لا يمكن تجاهله أو التعامل معه بحياد كامل.[3] ويمكن تلخيص الهدف الديني في النقاط التالية:

1–محمد إسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق، مرجع سابق، ص 33 .

2–المحتسب عبد المجيد ، اتجاهات التفسير في العصر الراهن ،منشورات مكتبة النهضة الاسلامية، الاردن، 1982، ص 11.

3–ماضي محمود، الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ،الطبعة الاولى، دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع، الاسكندرية، 1996، ص 21 .

- محاربة الإسلام ، وتتبع مثالبه وإبرازها ، والزعم بأنه يستلهم من النصرانية ، واليهودية ، مع تنقص قيمة الرسالة ، وقدر الرسول صلى الله عليه وسلم .
- حماية النصارى من الدخول في الإسلام بطمس معالمه ، وإخفاء حقائقه .
- حملات التنصير والجهود المبذولة في محاولة تنصير المسلمين[1].

ثانياً / الهدف العلمي:

لم يكن بإمكان أوروبا تحقيق نهضتها دون الاستفادة من إنجازات الحضارة الإسلامية، حيث أدرك زعماؤها أن النهوض العلمي والحضاري يستلزم التعمق في دراسة العلوم والمعارف التي ازدهرت في العالم الإسلامي. ومن هذا المنطلق، توجه الأوروبيون إلى دراسة اللغة العربية وآدابها وعلومها، وأقبلوا على الاطلاع على المؤلفات الإسلامية في مختلف المجالات. لم يتركوا أي حقل علمي تميز فيه العلماء المسلمون إلا وبحثوا فيه بجدية، فقاموا بترجمة العديد من الكتب، واستفادوا من المعارف التي احتوتها، مما ساهم في بناء أسس نهضتهم الحديثة.

يمكن القول إن الدافع العلمي للاستشراق تجلى في ثلاثة اتجاهات رئيسية. أولها كان البحث عن عناصر القوة في الدين الإسلامي وفي المجتمعات المسلمة، للاستفادة منها في نهضة الشعوب الأوروبية، وذلك تنفيذًا لوصايا علماء الغرب التي شددت على ضرورة التعلم من المسلمين، خاصة بعد فتح الأندلس وإقامة حضارة زاهرة هناك، تزامنت مع نهضة علمية استثنائية. ونتيجة لذلك، حرص المستشرقون على دراسة علوم الشرق الإسلامي والاستفادة من منجزاته الحضارية، مما دفعهم إلى تعلم اللغة العربية والتتلمذ على أيدي العلماء المسلمين، بل وحتى السفر إلى مراكز العلم الإسلامي للحصول على المعرفة من مصادرها الأصلية.

1–مغلي محمد البشير مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، ص63.

لم يقتصر الأمر على تلقي العلوم فقط، بل قام المستشرقون بنقل ما تعلموه إلى أوروبا، بهدف تعزيز تفوقهم العلمي والتخلص من التأثير الإسلامي على الغرب. استمر هؤلاء الباحثون في دراسة المعارف الإسلامية ونقلها إلى بلدانهم، مع الاحتفاظ بمعتقداتهم الخاصة ومواقفهم السلبية تجاه الإسلام والمسلمين، مما يعكس مزيجًا من الإعجاب بالعلوم الإسلامية والرغبة في استخدامها لتحقيق أهدافهم الحضارية والاستراتيجية [1]. البحث للمعرفة واطلاع على حضارات الأمم وأديانها، وثقافاتها، ولغاتها وهؤلاء كانوا أقل خطأ في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس، والتحريف، فجاءت أبحاثهم أسلم من أبحاث كثير من المستشرقين . رغم وجود الخطأ فيها[2].

البحث المعرفة الدين الإسلامي والعمل على نقله مشوهاً إلى الجماهير الأوروبية ليثبتوا للعالم المسيحي أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار ، ثم تطور الأمر إلى محاولة زعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس المسلمين وإثبات تفوق الحضارة الغربية[3].

ثالثا / الهدف الاقتصادي:

رغبت الدول الأوروبية في مد مصانعها بالمواد الخام، كما رغبت في تسويق منتجاتها، فكان لا بد من التعرف على البلاد التي تمتلك الثروات الطبيعية، ويمكن أن تكون لبضائعه أسواقا مفتوحة، فكان الشرق الإسلامي والدول الأفريقية والأسيوية هي الهدف، فلجأت الدوائر الحكومية، ومؤسسات الاستثمار الأجنبي إلى خيرة المستشرقين بالبلدان المعنية من أجل الاستطلاع على إمكانية استغلال الثروات الباطنية، والبشرية فيها تنفيذ مشاريعهم الاقتصادية المختلفة، والعمل كوسطاء، ومستشارين، ومترجمين، ومنقبين، مقابل رواتب مغرية[4].

1–محمد إسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل مدخل علمي لدراسة الاستشراق، مرجع سابق، ص 39 .

2–السباعي مصطفى، الاستشراق والمستشرقون، دار الوراق للنشر والتوزيع، ص 19 .

3–مغلي محمد البشير مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مرجع سابق، ص 23 .

4–مغلي، مرجع سابق ص 58 .

رابعا/ الهدف السياسي:

نجح الاستعمار في تجنيد عدد كبير من المستشرقين لخدمة مصالحه وتحقيق أهدافه في المناطق التي خضعت لسيطرته. كما عمل على تعزيز مكانة الاستشراق، مما أدى إلى نشوء علاقة وثيقة بين الطرفين، وقد لعب بعض المستشرقين أدوارًا محورية في دعم الاستعمار، حيث شغلوا مناصب استشارية في وزارات الخارجية لدولهم، وعملوا كقناصل، بل انخرطوا أيضًا في أعمال التجسس على المسلمين. وكان صناع القرار السياسي في الدول الاستعمارية يعتمدون بشكل كبير على آراء المستشرقين عند اتخاذ قراراتهم المهمة بشأن العالمين العربي والإسلامي. بغض النظر عن الأهداف المعلنة، فقد أصبح الإنتاج الاستشراقي أداة رئيسية بيد الاستعمار، حيث وفر المعرفة العميقة بالأمم الشرقية، مما سهل السيطرة عليها وجعل إدارتها أكثر فاعلية. فالمعرفة تمنح النفوذ، وزيادة النفوذ تتطلب اكتساب المزيد من المعرفة، وهو ما أدركه المستعمرون وسعوا إلى تحقيقه من خلال دعم الدراسات الاستشراقية والاستفادة منها في بسط سيطرتهم[1]. مما يؤكد ارتباط الدراسات الاستشراقية بالأهداف السياسية الاحتلالية، أن الحكومة الأمريكية مولت عدد من المراكز للدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية، وما زالت تمول بعضها إما تمويلاً كاملاً أو تمويلاً جزئياً.

خامسا/ الهدف الثقافي:

من أبرز أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية، واللغات الأوروبية، ومحاربة اللغة العربية، وصبغ البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي .ومن أجل تحقيق هذا الهدف فكر نابليون في استضافة خمسمائة من المشايخ ، ورؤساء القبائل في مصر ليعيشوا فترة من الزمن في فرنسا، من أجل أن يعتادوا على اللغة، والتقاليد الفرنسية، فإذا ما عادوا إلى مصر نشروا ما اعتادوا عليه.

1-النعيم عبد الله، الاستشراق في السيرة النبوية، ، مرجع سابق، ص 21.

الاهتمام المبالغ فيه بالصوفية وبخاصة تلك التي ابتعدت عن الكتاب، والسنة فتجدهم يجعلون لابن عربي مكانة خاصة في النشاطات الاستشراقية، كما اهتموا بالرافضة الإسماعيلية وغيرها من الفرق ، ولا شك أن هذا الاهتمام يجعل من يطلع على مثل هذه الدراسات وهو غريب عن الإسلام يظن أن هذا هو الإسلام .

الحرص على إنشاء المدارس والجامعات الغربية في العالم الإسلامي فمن ذلك : الكلية الإنجيلية التي تحولت إلى الجامعة الأمريكية ، والتي لها فروع في كل من القاهرة ، وبيروت ، واستنبول ، ودبي ، بالإضافة إلى كلية فكتوريا وهي عبارة عن مدرسة ثانوية الهدف منها تنشئة أجيال من أبناء المسلمين يكونون جسراً بين الثقافة الغربية، ومواطنيهم المسلمين . وقد أنتجت تلك المدارس جيل من المسلمين لا يصلون ، ولا يصومون ،ولا يؤمنون بالقرآن ، ولا يتحدثون اللغة العربية فيما بينهم .

ثانيا : نشأة الاستشراق و تطوره

1-نشأته

يرى بعض المؤرخين أن بداية الاستشراق تعود إلى الصراع بين الفرس واليونان في القرن السادس قبل الميلاد، ويستدلون بما كتبه المفكر اليوناني هيرودوتس (425 ق.م – 484 ق.م) عن الشرق، معتبرين ذلك أول اتصال بين الشرق والغرب، تلاه التوسع اليوناني في الشرق بقيادة الإسكندر الأكبر في القرن الرابع قبل الميلاد[1]. فيما يرى آخرون أن بداية الاستشراق تعود إلى القرن السابع الميلادي، حيث نشأ في المشرق العربي. ومع ظهور الإسلام وانتشاره في مختلف البلدان، بدأ الجدل بين المسلمين وأهل الكتاب، حيث حاول اليهود والنصارى التشكيك في الدين الإسلامي. وقد تعزز هذا الجدل من خلال ما كتبه الراهب يوحنا الدمشقي (676م – 749م) في بداية القرن الثاني الهجري من رسائل تهدف إلى محاورة المسلمين ومجادلتهم.

ويؤكد المفكر المصري أحمد عبد الحميد غراب هذا الرأي، حيث يتحدث عن الموقف العدائي القديم للغرب تجاه الإسلام، قائلاً: "ولا شك أن هذا الموقف قد اكتسب وما زال يكتسب أبعاداً جديدة وخطيرة، خصوصاً في الجوانب السياسية والثقافية منذ الحروب الصليبية حتى اليوم، لكن هذا الموقف في جوهره، الذي ينبع من العداوة في العقيدة، ليس جديداً؛ فهو موقف الكافرين المنكرين للرسالة، والمكذبين بالرسول صلى الله عليه وسلم، ومحاولة إثارة الشبهات حول الإسلام، والقرآن، والرسول صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص، بهدف تشكيك المسلمين في دينهم ومحاولة ردهم عنه[2]".

و مازال يكتسب أبعادًا جديدة وخطيرة ولاسيما في جوانبه السياسية والثقافية منذ الحروب الصليبية حتى اليوم، ولكن هذا الموقف في جوهره النابع من العداوة في العقيدة ليس بجديد،

1-أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق و أثرها في الادب العربي المعاصر، ص 71.

2-نجيب العقيقي، المستشرقون، ج 1، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص 72.

فهو موقف الكافرين موقف الإنكار للرسالة، والتكذيب للرسول صلى الله عليه وسلم، وإثارة الشبهات حول الإسلام، وحول القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بوجه خاص؛ لتشكيك المسلمين في دينهم ومحاولة ردهم عنه[1].

2- تطور حركة الاستشراق في القرن التاسع عشر: من التنظيم المؤسسي الى التوسع الاكاديمي:

1-تأسيس الجمعيات الاستشراقية:

شهد القرن التاسع عشر تطورًا نوعيًا في بنية الاستشراق، حيث انتقل من كونه نشاطًا فرديًا إلى إطار مؤسسي منظم، عبر تأسيس جمعيات ومؤسسات علمية تُعنى بالدراسات الشرقية. وقد شكل تأسيس هذه الجمعيات نقطة تحول مفصلية في تاريخ الاستشراق، إذ أضفت عليه طابعًا أكاديميًا، ورسّخت حضور المستشرقين كمجتمع علمي له مؤسساته ومنصاته البحثية. وكانت البداية مع الجمعية الآسيوية في باريس (La Société Asiatique) سنة 1822، التي أسسها المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي، والتي هدفت إلى دعم البحوث المتعلقة باللغات والثقافات الشرقية، ونشر المجلة الآسيوية التي أصبحت منبرًا علميًا مرموقًا آنذاك.[2]

وتبع ذلك تأسيس الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا وإيرلندا (Royal Asiatic Society) سنة 1823، والتي أسسها هنري توماس كولبروك، وساهمت في دعم البحوث المتعلقة بالهند وشرق آسيا بشكل خاص، كما لعبت دورًا مهمًا في تعزيز العلاقات العلمية بين أوروبا والمستعمرات الشرقي . وفي عام 1842، تم تأسيس الجمعية الشرقية الأمريكية (American Oriental Society)، لتكون أول مؤسسة في أمريكا الشمالية تُعنى بالدراسات الشرقية، وقد ساعدت في توطيد العلاقات الأكاديمية بين أمريكا وأوروبا في مجال الاستشراق.

1-احمد عبد الحميد غراب، رؤية اسلامية للاستشرق، المنتدى الاسلامي، ط 2، القاهرة، 1991، ص 11.

2-Said, Edward W. Orientalism. Pantheon Books, 1978, p82.

أما في ألمانيا، فقد ظهرت الجمعية الشرقية الألمانية (Deutsche Morgenländische Gesellschaft) سنة 1845، في لايبزيغ، والتي ركزت على الدراسات اللغوية والتاريخية المتعلقة بالشرق الأوسط وآسيا، وساهمت بشكل كبير في نشر نصوص عربية وفارسية وسنسكريتية محققة علميًا[1]. وقد ساعدت هذه الجمعيات مجتمعة في تكريس الاستشراق كمجال علمي مستقل، له مؤسساته وأدواته، ووفرت منصات لتبادل المعرفة والخبرات، وتنظيم المؤتمرات ونشر الأبحاث، مما زاد من تأثير الاستشراق على السياسات والثقافات الغربية تجاه الشرق.

2-إصدار المجلات والدوريات الاستشراقية:

لم يقتصر تطور حركة الاستشراق في أوروبا على تأسيس الجمعيات العلمية، بل توازى ذلك مع ازدهار الصحافة والدوريات المتخصصة التي أصبحت أدوات فعالة في نشر المعرفة الاستشراقية وتبادل نتائج البحوث بين العلماء والمهتمين. وتُعد هذه الدوريات رافدًا أساسيًا لنشر النصوص المحققة، والدراسات اللغوية والتاريخية والدينية المرتبطة بالعالم الشرقي. وكان من أوائل هذه الدوريات مجلة "ينابيع الشرق (Fundgruben des Orients) "التي أسسها المستشرق النمساوي جوزيف فون هامر-برغشتال (Joseph von Hammer-Purgstall) في فيينا، وصدرت بين عامي 1809 و1818، وقد اعتُبرت خطوة رائدة في تدوين التراث العربي والفارسي والتركي، حيث نشرت ترجمات وتعليقات علمية على نصوص شرقية نادرة.

وفي باريس، أسس عدد من المستشرقين الفرنسيين مجلة "الإسلام (Revue du Monde Musulman) " عام 1895، والتي مثلت منبرًا فكريًا لدراسة المجتمعات الإسلامية من منظور استشراقي. ثم خلفتها عام 1906 مجلة "العالم الإسلامي (Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée) "، والتي عُنيت بشكل أوسع بالمسلمين في حوض البحر الأبيض

1-Irwin, Robert. For Lust of Knowing: The Orientalists and Their Enemies. Allen Lane, 2006, p60-80.

المتوسط، قبل أن تتطور لاحقًا إلى "مجلة الدراسات الإسلامية (Revue des Études Islamiques)"، التي أصبحت تصدر عن معهد الدراسات العليا في باريس، وارتبطت بعدد من كبار المستشرقين مثل لويس ماسينيون (Louis Massignon) .

وفي السياق الألماني، صدرت مجلة "Der Islam" عام 1910 عن الجمعية الشرقية الألمانية، وقد لعبت دورًا رياديًا في توجيه الدراسات الإسلامية في ألمانيا، مع تركيز خاص على التاريخ الإسلامي والفقه والحديث واللغة. أما في روسيا، فقد ظهرت مجلة "عالم الإسلام" عام 1912 في بطرسبرغ، في إطار اهتمام الإمبراطورية الروسية بدراسة المسلمين في آسيا الوسطى والقوقاز، وقد مثّلت هذه المجلة امتدادًا للرؤية الإمبراطورية الروسية في استيعاب الأقليات المسلمة ضمن خطاب أكاديمي استشراقي)[1].

وقد شكّلت هذه المجلات مجتمعة أحد الأعمدة الأساسية للمشروع الاستشراقي الأوروبي، وساهمت في ترسيخ الصور النمطية حول "الشرق" في الوعي الأكاديمي الغربي، كما أتاحت للمستشرقين منابر مؤسسية لنشر ترجماتهم وتحليلاتهم وتأصيل منهجهم النقدي في دراسة الشرق.

1-Tlostanova, Madina. A Janus-Faced Empire: Notes on the Russian Empire in Modernity, Written from the Border. Moscow: Novoe Literaturnoe Obozrenie, 2010, p87-106.

3-المؤتمرات الدولية للمستشرقين:

مع بداية القرن التاسع عشر، شهدت حركة الاستشراق تحولًا مهمًا من خلال تنظيم المؤتمرات الدولية التي جمعت المستشرقين من مختلف أنحاء العالم، مما أتاح لهم فرصة التعاون العلمي والتنسيق بين مدارس فكرية وثقافية متنوعة. وكان المؤتمر الدولي الأول للمستشرقين الذي عُقد في باريس عام 1873 هو نقطة البداية لهذه السلسلة من المؤتمرات، حيث شكل منصة لتبادل الأبحاث والمناقشات حول قضايا متنوعة تتعلق باللغات الشرقية، والفكر الإسلامي، والأنثروبولوجيا الثقافية. وقد سعى المستشرقون من خلال هذه المؤتمرات إلى تعزيز التعاون بين مختلف المؤسسات العلمية الأوروبية، كما كان لها دور كبير في تشكيل وتوجيه مسار البحث الأكاديمي في مجال الاستشراق[1].

منذ ذلك الحين، تم تنظيم أكثر من ثلاثين مؤتمرًا دوليًا للمستشرقين في مدن مختلفة مثل لندن وبرلين وأكسفورد وطوكيو. على سبيل المثال، كان مؤتمر أكسفورد الذي عُقد في1930 بمثابة حدث أكاديمي هام ضم أكثر من 900 عالم من 25 دولة، بالإضافة إلى 85 جامعة و69 جمعية علمية. وقد ساعد هذا الحدث في تعزيز الحوار بين المستشرقين من مختلف البلدان، وعزز العلاقات بين المؤسسات التعليمية الكبرى التي كانت تروج للأبحاث المتعلقة بالشرق، من خلال مناقشة موضوعات مثل تطور الفكر الفقهي الإسلامي، ودراسة النصوص القديمة باللغة العربية والفارسية.

وقد أصبح لهذه المؤتمرات دورًا محوريًا في صياغة المفاهيم الاستشراقية التقليدية وتوسيع نطاق الدراسات في المجالات المختلفة. كما ساعدت هذه اللقاءات على فتح المجال للمستشرقين من البلدان الشرقية للمشاركة في النقاشات العلمية، مما أضفى على الدراسات الاستشراقية بعدًا عالميًا. وفي العقود الأخيرة، أصبحت المؤتمرات فرصة لمناقشة قضايا

1-Irwin, Robert. For Lust of Knowing: The Orientalists and Their Enemies. Allen Lane, 2006, p54.

معاصرة مثل العولمة، والتحديات الثقافية والإسلامية في القرن الواحد والعشرين، والبحث في تأثيرات الاستشراق على العلاقات السياسية بين الشرق والغرب[1].

4- تأثير الاستشراق على الدراسات الأكاديمية:

ساهمت التطورات الكبيرة في مجال الاستشراق خلال القرن التاسع عشر في تعزيز مكانته كمجال أكاديمي مستقل، حيث بدأت الجامعات الأوروبية تخصص أقسامًا علمية لدراسة اللغات الشرقية، والثقافات الإسلامية، والدين الإسلامي. كانت هذه التحولات نتيجة مباشرة لتوسع الاستشراق وتعدد مجالاته، مما أدى إلى تحول الدراسة الأكاديمية للشرق إلى مجال مؤسسي له أهمية خاصة في مختلف المؤسسات التعليمية الكبرى في أوروبا. ولعبت هذه التطورات دورًا محوريًا في تشكيل المنهجيات الأكاديمية التي تتبنى أساليب تحليلية نقدية للدراسات الشرقية.

واستجابة لهذه التحولات، ظهرت العديد من الأقسام الجامعية التي تركز على دراسة اللغة العربية، والفارسية، والتركية، والتاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى تقديم برامج أكاديمية تركز على الدين والفكر الإسلامي. ومن أبرز الأمثلة على ذلك تأسيس قسم الدراسات الإسلامية في جامعة كامبريدج في القرن التاسع عشر، وكذلك برامج مماثلة في جامعة أكسفورد وبرلين، حيث كان لهذه الأقسام دور كبير في تدريب الأجيال الجديدة من المستشرقين الأكاديميين الذين أثروا بشكل كبير في تطوير الفكر الأكاديمي الغربي حول الشرق.

كما كان لهذه التطورات تأثير كبير في المجال الفكري الأوروبي بشكل عام، حيث أسهم الاستشراق في نقل المعارف الإسلامية إلى الغرب من خلال الترجمة والنشر، مما كان له تأثير بالغ في إثراء الفكر الأوروبي، خاصة في مجالات الفلسفة، والعلوم، والأدب. على سبيل المثال، كانت ترجمات النصوص الفلسفية الإسلامية من قبيل أعمال الفارابي،

1-Said, Edward W. Orientalism. Pantheon Books, 1978, p32.

والغزالي، وابن سينا، تشكل مصدراً هامًا في تطور الفلسفة الغربية خلال العصور الوسطى. وبالتالي، أصبحت هذه الترجمات نقطة تحول رئيسية في التفاعل الفكري بين الشرق والغرب، حيث ساعدت على نقل الأفكار الإسلامية إلى أوروبا في وقت كانت فيه الفلسفة الأوروبية تبحث عن مصادر إلهام جديدة[1].

ومع مرور الوقت، أثر الاستشراق بشكل ملموس في تشكيل التصورات الغربية عن الشرق، وهو ما يبرز بشكل خاص في الأدب والفكر الفلسفي، حيث سعى العديد من المفكرين الأوروبيين إلى رسم صورة مثالية أو نمطية عن "الشرق"، سواء كانت هذه الصورة تظهره كمهد للعلوم أو كمجتمع متخلف يحتاج إلى التوجيه الغربي. هذا الاتجاه الاستشراقي لم يقتصر على الدراسات الأكاديمية فحسب، بل كان له أيضًا تأثيرات مباشرة على السياسة الخارجية الأوروبية تجاه الدول الإسلامية والعربية.

1-Said, Edward W. Orientalism. Pantheon Books, 1978, p33.

ثالثا : الاستشراق بين الرفض و التأييد

1-المواقف الرافضة للاستشراق:

يُقابل غالبية الدراسات الاستشراقية في العالم الإسلامي بالرفض، حيث يُنظر إليها على أنها مبادرة من أعداء الإسلام، وتنطوي على أبعاد متعددة وجوانب متشعبة. يرى محمود زقزوق، في هذا الصدد، أن الأمر يتجاوز مجرد الخلاف الفكري، فهو يتعلق بأعماق العقيدة والحضارة الإسلامية، مما يستدعي المواجهة والتحدي وإثبات الذات. ويمثل هذا الموقف رفضًا تامًا للاستشراق، ويشكك في مصداقية أهدافه ونواياه، معتبرًا أن ممثليه يسعون لخدمة مصالح مشبوهة معادية للعرب. وعلى هذا النهج، تبنى مجموعة من المفكرين المسلمين موقف الرفض المطلق، رافضين أي إسهام للاستشراق، معتبرين أن المستشرقين، الذين هم غالبًا من أهل الكتاب، يهدفون إلى تشويه الإسلام، والتشكيك فيه، والتضليل، وفرض التبعية للغرب. ويرى هذا الفريق الرافض أن الاستشراق هو "علم أوروبي يعكس موقف أوروبا وعقليتها"، وأن المستشرقين لا يملكون القدرة على فهم حقيقي لماضي وحاضر ومستقبل وتاريخ العرب، لأنهم لا يحسنون لغتهم ولا ثقافتهم، ويهدفون إلى تقويض الهوية الثقافية العربية الإسلامية وخدمة الاستعمار والصهيونية. ويرى عبد الجليل عبده الشلبي "أن كتب المستشرقين عن الإسلام يجب تجاهلها وعدم نقلها إلى العربية، بل والامتناع عن الرد على ما يسيء للإسلام فيها[1]".

ويرى هؤلاء الرافضون أن الاستشراق هو "فن استعماري قديم"، يهدف إلى تمهيد السبل للسيطرة على البلاد الإسلامية وإخضاعها للمستعمر، وتشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم الغربي، ويرى عبد الجليل أن المستشرقين يهدفون إلى إخراج المسلمين من دينهم وتجريدهم من هويتهم، وأنهم يسعون إلى ترويج الأكاذيب والمختلقات عن الإسلام، معتبرًا أن أي تغيير في موقفهم الظاهر لا يعدو كونه تخليًا عن الأكاذيب والاختلافات، وليس عن

1-عبد الجليل عبده شلبي، صور استشراقية، الكتاب الأول ، سلسلة البحوث الاسلامية ، 1398-1978، ص 17.

الطعن في الإسلام. يؤكد المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله على أن اهتمام مفكري الغرب بالدين الإسلامي يهدف إلى التشكيك فيه والتركيز على جوانب الضعف فيه. أما المفكرون العرب، فهم في نظره يحاكون الفكر الغربي، ويساهمون في تغيير تفكير العرب، معتبرًا أن دعمهم للحضارة الغربية ولأفكارها يأتي بواسطة إغراءات مادية ومعنوية، ويخشى من أن هذا التوجه قد يؤدي إلى تبعية ثقافية للغرب[1]. ويرى بعض المفكرين العرب أن الغزو الفكري الاستشراقي ينخر المسلمين، ويجعلهم يتخبطون في بعضهم البعض وينشر العداوة بينهم، ويستشهدون بالحديث النبوي "يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها" ليشيروا إلى خطورة الوضع.

ويعتبر عابد بن محمد السفياني "أن هدف الاستشراق هو إبعاد سلطان الدين عن نفوس الناس ونشر العلمانية"[2]، وذلك من خلال التركيز على أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين بدلًا من الشريعة القرآنية، وهو ما يرمي إلى خلق خلاف بين المسلم ودينه.في المقابل، ينادي محمد رشاد خليل بضرورة مواجهة هذا التيار، ويدعو الباحثين المسلمين المتخصصين إلى القيام بعمل علمي جاد ومنظم يهدف إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بناءً على الحقائق والمصادر الإسلامية الموثوقة، لتبديد الصورة المشوهة التي قدمها المستشرقون عن الإسلام. ويخشى من أن وجهة نظر الباحثين الغربيين قد أصبحت أساسًا في بناء تصورنا نحن لهذا التاريخ[3].ويحذر بعض الكتاب من تبعية الباحثين العرب للأفكار الغربية، مؤكدين أن الثقافة الإسلامية هي الوعاء الذي يجب أن يحتضن المسلم العربي، مع ضرورة الحرص على تقديم الثقافة الإسلامية للجيل المعاصر بطريقة صحيحة.

1–أبو القاسم سعد االله، من تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري، ج،1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص23.

2–عابد بن محمد السفياني: المستشرقون ومن تابعهم، ص10.

3–محمد رشاد خليل: المنهج الإسلامي في دراسة التاريخ وتفسير سلسلة دفاع عن التاريخ الإسلامي، قسم الثقافة الإسلامية، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، ص20.

ويختتم هذا المحور بالتأكيد على أن الرافضين للاستشراق يستندون في رفضهم على أن الاستشراق لم ينطلق من قاعدة علمية مجردة، بل كان محكومًا بدوافع وأهداف غير علمية، وأن الثقة منزوعة من إسهامات المستشرقين.

ويؤكد النص على أن المستشرقين القدماء لم يكونوا سوى أداة في يد الاستعمار، وأنهم كانوا يهدفون إلى تمهيد الطريق للسيطرة على البلاد الإسلامية، وأن المستشرقين المعاصرين يسعون إلى إخراج المسلمين من دينهم وتجريدهم من هويتهم. وفي هذا يرى أبو الحسن الندوي "أن المستشرقين يجمعون المعلومات من كل المصادر بغض النظر عن مصداقيتها"[1]، في حين أنهم يقومون بجمع المعلومات لها من كل رطب ويابس ليس لها أي علاقة بالموضوع سواء من كتب الديانة والتاريخ والأدب والشعر أو الرواية والقصص أو حتى من كتب تافهة لا قيمة لها.قابل جانب كبير من الدراسات الاستشراقية في العالم العربي والإسلامي بالرفض، وذلك انطلاقًا من رؤية ترى أنها مبادرة معادية للإسلام، وتنطوي على أبعاد وجوانب متعددة ذات أهداف مشبوهة. يرى محمود زقزوق أن الخطر في الاستشراق يكمن في مساسه بأعماق العقيدة والحضارة الإسلامية، مما يستدعي المواجهة والتحدي وإثبات الذات. هذا الموقف يُعبر عن رفض تام للاستشراق وكل ما يصدر عنه، ويُحَمِّل المستشرقين مسؤولية تزييف الحقائق والتحامل على العرب والمسلمين[2].

يتبنى فريق من المفكرين المسلمين هذا الموقف الرافض، فلا يقبلون أي إسهام للاستشراق، ويعتبرون أن المستشرقين، وهم غالبًا من أهل الكتاب، يهدفون إلى تشويه الإسلام، والتشكيك فيه، وفرض التبعية للغرب. ويرى هذا الفريق أن الاستشراق ما هو إلا نتاج "عقلية أوروبية" لا تفهم الشرق، وأن المستشرقين يفتقرون إلى المعرفة الحقيقية باللغة

1–أبو الحسن علي الندوي: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت،1985،ط1، ص 13.

2–محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، ،1985، ص 52–53.

والثقافة العربية، ويسعون لتقويض الهوية الإسلامية وخدمة الاستعمار والصهيونية. وفي هذا السياق، يستنكر عبد الجليل عبده شلبي نقل كتب المستشرقين إلى العربية، أو الرد على ما يُسيء للإسلام فيها.

ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن الاستشراق هو "فن استعماري قديم" يهدف إلى السيطرة على البلاد الإسلامية وتشويه صورتها. ويؤكدون أن المستشرقين يسعون لإخراج المسلمين من دينهم، وتجريدهم من هويتهم، من خلال ترويج الأكاذيب و التزييفات. ويؤكدون أن التغيير الظاهري في مواقف المستشرقين ما هو إلا تخلي عن الأكاذيب، وليس عن الطعن في الإسلام.ويرى المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله أن اهتمام مفكري الغرب بالدين الإسلامي يهدف إلى التشكيك فيه، والتركيز على جوانب الضعف فيه. كما يشير إلى أن بعض المثقفين العرب يتبعون أفكار هذا التيار المنحرف.

ويرى أحمد سمايلوفيتش "أن الاستشراق يهدف إلى إضعاف سلطان الدين في نفوس المسلمين، ونشر العلمانية"[1]، وذلك من خلال التركيز على القوانين الوضعية بدلًا من الشريعة القرآنية. بينما يرى عابد بن محمد السفياني أن الاستشراق يسعى إلى إبعاد سلطان الدين عن النفوس. ويتهم هذا التيار الرافض المستشرقين بتضمين أعمالهم "مقدارًا خاصًا من السم" بطريقة لا تثير شك القارئ، معتبرًا أن هذه الكتابات هي أداة حرب دعائية وليست بحوثًا علمية موضوعية. كما يرى أن المستشرقين قد ركزوا على بعض الشخصيات التاريخية الإسلامية التي عرفت بالانحراف لتشويه صورة الإسلام. و يُدين عبد القادر العماري المستشرقين لتزييفهم صورة صلاح الدين الأيوبي، واعتبروا أن دوافعهم "عقائدية وسياسية أباحت قتله"، ويستنكر ما يسمونه "اضطهاد حرية الفكر من قبل صلاح الدين الأيوبي".

1-أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص412 .

2-المواقف المؤيدة للاستشراق:

تم تحليل دور الأيديولوجيات المختلفة في التأثير على المفاهيم الدينية والفكرية، حيث اتخذ بعض الباحثين مواقف نقدية تجاه التفسيرات التقليدية، بينما سعى آخرون إلى تقديم رؤى جديدة تعتمد على المقاربات الحديثة في الفلسفة وعلم الاجتماع. وقد أظهرت هذه الدراسات أن الدين ليس مجرد مجموعة من المعتقدات، بل هو منظومة فكرية وثقافية تتفاعل مع المتغيرات التاريخية والاجتماعية، مما يجعل دراسته أمرًا ضروريًا لفهم تطور الفكر الإنساني. يُعد الاستشراق من المجالات التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات الفكرية والثقافية، حيث لعب دورًا محوريًا في تشكيل الصورة الذهنية عن الشرق في الفكر الغربي. وقد ارتبط هذا المجال بعدة أهداف، منها العلمية والثقافية والاستراتيجية، حيث سعى المستشرقون إلى دراسة الحضارات الشرقية، ولغاتها، وأديانها، بهدف تحقيق فهم أعمق للمجتمعات الشرقية وتأثيرها على الغرب. تباينت الدوافع وراء الدراسات الاستشراقية، فمنها ما كان بدافع البحث العلمي البحت، ومنها ما كان مدفوعًا باعتبارات سياسية ودينية. فقد استخدم الاستشراق كأداة لفهم المجتمعات الشرقية بهدف التأثير عليها، سواء من خلال نشر الثقافة الغربية أو توظيف المعرفة المكتسبة في خدمة المشاريع الاستعمارية. ومن هنا، ظهر الاستشراق كظاهرة معقدة، تجمع بين البحث الأكاديمي والتوجهات الأيديولوجية التي تسعى إلى التأثير على الشرق وتوجيهه بما يتناسب مع المصالح الغربية.

اهتم المستشرقون بدراسة اللغة العربية والأدب العربي، وكذلك النصوص الدينية والفكرية، حيث سعوا إلى تحليلها وفهمها وفق مناهجهم الخاصة. وقد أنتجت هذه الدراسات العديد من الأعمال التي حاولت تقديم صورة شاملة عن الشرق، لكنها لم تكن دائمًا موضوعية، حيث تأثرت بالكثير من التصورات المسبقة والتوجهات الفكرية التي تعكس نظرة غربية إلى المجتمعات الشرقية. ساهم الاستشراق في تشكيل السياسات الاستعمارية، حيث كانت الدراسات الاستشراقية تُستخدم كأدوات لفهم الثقافات الشرقية بهدف فرض الهيمنة عليها[1].

1-موقف العرب من المستعربين، ص 44.

ولم يكن هذا الاستخدام مقتصرًا على المجال الأكاديمي فحسب، بل امتد إلى المجالين السياسي والديني، حيث تم استغلال نتائج الدراسات الاستشراقية في صياغة سياسات استعمارية تهدف إلى السيطرة على الدول الشرقية وإعادة تشكيل هويتها وفق المنظور الغربي. فيذكر عبد الله بن محمد العقيلي مكانة المستشرقين في التحقيق و النشر و حفظ التراث.

و من الدراسات الموسوعية لكتابات المستشرقين موسعة المستشرقين لعبد الرحمان بدوي، و التي عرف فيها بأعمال قرابة ستمائة مستشرق اوروبي من بداية القرن السابع عشرإلى بداية القرن العشرين، اثنى كثيرا عليهم و على اعمالهم[1]. يمكن القول إن الاستشراق كان ظاهرة متعددة الأبعاد، تراوحت بين البحث الأكاديمي الصادق والتأثير الأيديولوجي الهادف إلى بسط النفوذ الغربي. وقد أسهمت هذه الدراسات في تكوين معرفة عميقة بالشرق، لكنها في الوقت ذاته، ساهمت في نشر العديد من الصور النمطية التي لا تزال تؤثر على فهم الغرب للمجتمعات الشرقية حتى اليوم.

تجلّت بعض المواقف المؤيدة للاستشراق في الفكر العربي المعاصر من خلال مقاربات فكرية هدفت إلى إعادة قراءة التراث الإسلامي بشكل نقدي ومنفتح، متجاوزةً القراءات الكلاسيكية الضيقة. يُعد محمد أركون من أبرز المفكرين الذين حاولوا بناء "إسلاميات تطبيقية" تتجاوز الأطر الاستشراقية التقليدية من جهة، وتنتقد البنية التراثية الجامدة من جهة أخرى. فقد دعا أركون إلى تحرير الدراسات الإسلامية من القراءات الإيديولوجية والسياسية، وسعى إلى بناء معرفة جديدة حول الإسلام تُوظّف أدوات التحليل الحديثة المستمدة من العلوم الإنسانية والاجتماعية. كما أوضح في دراساته أن الاستشراق الكلاسيكي، رغم طابعه الاستعماري أحيانًا، قدّم أدوات تحليل يمكن تطويرها في ضوء المناهج المعاصرة. أما طه حسين، فقد استفاد من أدوات المنهج التاريخي النقدي الذي تأثر بالاستشراق في كتابه في

1–موسوعية المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، بتصرف.

الشعر الجاهلي، حيث أثار جدلاً واسعًا بتشكيكه في موثوقية بعض النصوص التراثية، مؤكدًا أن التراث لا ينبغي أن يُعامل كمسلمات بل يجب إخضاعه للتمحيص العلمي[1]. كما دعا في كتابه مستقبل الثقافة في مصر إلى الانفتاح على الحضارة الغربية والاستفادة من مناهجها الفكرية لتحديث المجتمع العربي[2]. وفي السياق نفسه، أشار هاشم صالح في تقديمه لكتاب الاستشراق بين دعاته ومعارضيه إلى أن بعض المستشرقين، مثل لويس ماسينيون وماكسيم رودنسون، سعوا بصدق إلى فهم العالم الإسلامي وقدموا مساهمات معرفية بعيدة عن النزعة الاستعمارية[3]. تعكس هذه المواقف أن بعض المفكرين العرب لم يرفضوا الاستشراق جملةً وتفصيلًا، بل تعاملوا معه كخطاب معرفي يمكن تفكيكه ونقده، وفي الوقت ذاته الاستفادة من بعض أدواته ضمن منظور نقدي.

1–حسين، طه. في الشعر الجاهلي. القاهرة: دار الكتب، 1962.

2–حسين، طه. مستقبل الثقافة في مصر. القاهرة: دار المعارف،1938.

3–صالح، هاشم. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه. بيروت: معهد الدراسات الفلسطينية،1994.

خلاصة الفصل

يُعدّ الاستشراق ظاهرة فكرية وثقافية نشأت في سياق العلاقة بين الشرق والغرب، حيث انصبّ اهتمام الباحثين الغربيين على دراسة الحضارات الشرقية، ولغاتها، وأديانها، وتاريخها. يحمل مفهوم الاستشراق دلالات متعددة، فهو من جهة يشير إلى الجهد الأكاديمي الذي بذله المستشرقون في تحليل ودراسة المجتمعات الشرقية، ومن جهة أخرى، يعكس رؤية غربية للشرق غالبًا ما كانت مشوبة بالأحكام المسبقة والتوجهات الأيديولوجية. وقد ارتبط الاستشراق، في كثير من مراحله، بمشاريع استعمارية ودينية، حيث تم توظيفه لفهم المجتمعات الشرقية بهدف التأثير عليها أو السيطرة عليها سياسيًا وثقافيًا.

الفصل الثاني

ماهية الاستشراق عند اوراد سعيد

مدخل

اولا: التعريف بادوارد سعيد

ثانيا: تعريف ادوارد سعيد للاستشراق

ثالثا: البنى الاستشراقية للاستشراق الكامن و الاستشراق الظاهر

رابعا: التمثيل الغربي للاستشراق

مدخل:

يشكل مفهوم الاستشراق عند إدوارد سعيد مدخلًا أساسيًا لفهم طبيعة العلاقة التي نسجها الغرب مع الشرق عبر القرون. فالاستشراق، كما يطرحه سعيد، ليس مجرد دراسة أكاديمية محايدة لثقافات الشرق ولغاته وتاريخه، بل هو بناء معرفي سياسي يستبطن إرادة للهيمنة والسيطرة. من هذا المنطلق، ينظر سعيد إلى الاستشراق باعتباره طريقة غربية في التفكير بالشرق تقوم على منظومة متكاملة من التصنيفات والأفكار المسبقة، التي أنتجتها المؤسسات الأكاديمية والسياسية والثقافية الغربية في سياق تاريخي ارتبط بمشروع التوسع الإمبريالي. لقد أبرز سعيد أن الخطاب الاستشراقي يتميز بكونه خطابًا وظيفيًا، لا يقتصر هدفه على الوصف والتحليل، بل يتجاوزه إلى تشكيل صورة نمطية للشرق تخدم مصالح القوى الغربية. ولم يكتف سعيد بانتقاد مضامين هذا الخطاب، بل عمد إلى تفكيك بنيته العميقة مستخدمًا مفاهيم مستمدة من الفكر النقدي المعاصر، ولا سيما من ميشال فوكو فيما يتعلق بعلاقة المعرفة بالسلطة، ومن أنطونيو غرامشي عبر مفهوم الهيمنة الثقافية. وفي ضوء هذا المنظور، يصبح الاستشراق عند سعيد ظاهرة مركبة تتجسد عبر مستويين أساسيين: الاستشراق الكامن الذي يتمثل في التصورات والأفكار العميقة المستقرة في الثقافة الغربية عن الشرق، والاستشراق الظاهر الذي يتجلى في الدراسات والكتابات والمؤسسات التي تناولت الشرق بشكل مباشر. وتبعًا لذلك، يتطلب فهم ماهية الاستشراق تحليل بنيته الداخلية، وتفكيك آليات تمثيله للشرق، والكشف عن الدور الذي لعبه هذا التمثيل في ترسيخ الفوقية الغربية. انطلاقًا من هذه الرؤية.

اولا: التعريف بادوارد سعيد

يُعدّ إدوارد وديع سعيد من أبرز النقاد الأدبيين والمفكرين العالميين في النصف الثاني من القرن العشرين. امتد تأثيره إلى الساحة الفكرية والأكاديمية الدولية، حيث شكلت مؤلفاته وكتاباته مصدر إلهام للعديد من الأدباء والمثقفين حول العالم، كما كان له حضور متميز ومؤثر في وسائل الإعلام العربية والدولية. برز سعيد بوصفه رمزاً ثقافياً عالمياً، ومدافعاً مبدئياً عن العدالة وحقوق الشعوب، لا سيما فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، التي كانت محوراً أساسياً في كتاباته ونشاطاته السياسية والفكرية. وقد سعى سعيد إلى تجسيد قيمه الإنسانية النبيلة من خلال عمله الأكاديمي والبحثي، حيث شغل منصب أستاذ الأدب الإنجليزي والمقارن في جامعة كولومبيا بنيويورك.

1-المؤثرات الفكرية المبكرة:

في طفولته، اتسم إدوارد سعيد بالعزلة الاجتماعية، إذ لم يكن يمتلك دائرة أصدقاء واسعة، غير أن بيئته العائلية وفّرت له منبعاً غنياً للتكوين الثقافي والفكري المبكر. فقد احتوت مكتبة العائلة على مجموعة متنوعة وثرية من الكتب، شكّلت الرواية الكلاسيكية فيها العنصر الأكثر تأثيراً في صقل خياله وشخصيته الناشئة. كان يرتاد دور السينما لمتابعة الروايات المتسلسلة، كما قرأ أعمال كبار الكتّاب الإنجليز مثل تشارلز ديكنز و والتر سكوت، إلى جانب القصص الشعبية ذات الطابع الترفيهي. وبدعم والدته، انفتح سعيد على مسرحيات وكتابات ويليام شكسبير، التي تركت بصمة مبكرة في مساره الثقافي. إلى جانب القراءة، لعبت الموسيقى دوراً محورياً في تشكيل وجدانه الجمالي، حيث بدأ العزف على آلة البيانو في سن الثالثة عشرة. وقد أشار بنفسه إلى امتلاكه ذاكرة موسيقية استثنائية، مكنته من حفظ وتكرار ما يزيد عن ثلاثين أو أربعين قطعة موسيقية، ما يعكس نضجاً فنياً مبكراً وتقديراً عميقاً لهذا الشكل من التعبير الفني.

من الناحية الفكرية، تأثر سعيد بعدد من المفكرين والفلاسفة الذين ساهموا في بناء منظومته النظرية لاحقاً. من بين هؤلاء، الفيلسوف الإيطالي جيامباتيستا فيكو، الذي ساهم في بلورة رؤيته للثقافة والتاريخ، بالإضافة إلى تأثره بالفيلسوف الدنماركي سورين كيركغارد، والشاعر والفنان الإنجليزي وليم بليك. كما كان للأدب الفرنسي حضور قوي في تكوينه، عبر قراءاته لشارل بودلير، جيرار دو نيرفال، غوستاف فلوبير، ومارسيل بروست، إلى جانب الروائي البولندي–البريطاني جوزيف كونراد، الذي مثّل أحد أبرز الأسماء التي تركت أثراً عميقاً في تفكيره الأدبي والسياسي[1].

2–تكوينه و دراسته:

بفضل امتلاكه للجنسية الأمريكية، وبسبب التحديات التي واجهها في المنهاج البريطاني، قررت أسرة إدوارد سعيد إرساله إلى الولايات المتحدة لمواصلة تعليمه. في عام 1951، التحق بمدرسة داخلية في ولاية ماساتشوستس، وهي تجربة وصفها لاحقًا بأنها كانت من أكثر فترات حياته بؤسًا. بعد ذلك، تابع دراسته الجامعية في جامعة برنستون، ثم التحق بجامعة هارفارد حيث حصل على درجة الدكتوراه في الأدب المقارن عام 1963. وقد صدرت أطروحته، التي حملت عنوان Joseph Conrad and the Fiction of Autobiography، في ذات العام كأول عمل منشور له.خلال فترة دراسته التي امتدت اثني عشر عامًا في أمريكا، انغمس سعيد في دراسة الأدب الإنجليزي، الفرنسي، والإيطالي، إلى جانب آداب الإغريق والرومان، والمسرح، والفلسفة، والموسيقى. هذه المرحلة كانت حاسمة في تشكل رؤيته النقدية، إذ كان قارئًا نهمًا وغير مقيد بمناهج دراسية صارمة، فقرأ على سبيل المثال التاريخ والوعي الطبقي لجورج لوكاش، والرواية التاريخية، كما تأثر لاحقًا بأعمال مفكرين مثل هوسرل، هايدغر، وموريس ميرلوبونتي.

1–عابد عبد الله أحمد. إدوارد سعيد: حياته وسيرته وآثاره وإنتاجه، مرجع سابق، بتصرف.

بحلول عام 1963، انضم سعيد إلى هيئة التدريس في جامعة كولومبيا، حيث تعمق اهتمامه بالثقافة الفرنسية، ليس فقط من خلال القراءة، بل أيضًا عبر التفاعل المباشر مع الأدباء والمثقفين الفرنسيين، وهو اهتمام استمر حتى أوائل السبعينيات. في تلك المرحلة، بدأ يبلور موقفًا نقديًا تجاه المناهج الفكرية الغربية السائدة، وعبّر عن رفضه لأنظمة التفكر الجاهزة، وخصوصًا ما لاحظه من ميل النخبة الثقافية الفرنسية لبناء "إمبراطوريات فكرية" تبحث عن أتباع مخلصين[1].

3- مؤلفاته:

يُعد إدوارد سعيد أحد أبرز المفكرين في المشهد الأكاديمي المعاصر، وقد ترك إرثًا فكريًا غنيًا من خلال عدد من المؤلفات التي كان لها بالغ الأثر على الدراسات الثقافية، والنقد الأدبي، وفهم العلاقة بين الشرق والغرب. من بين أبرز مؤلفاته: جوزيف كونراد ورواية السيرة الذاتية (1966)، بدايات: القصد والمنهج (1975)، وكتابه الأشهر الاستشراق (1978)، الذي تُرجم إلى لغات متعددة، من بينها العربية، وغيّر جذريًا الطريقة التي يُفكر بها في تمثلات الشرق في الخطاب الغربي.

تلا ذلك أعمال مثل الأدب والمجتمع (1980)، العالم، النص، والناقد (1983)، الثقافة والإمبريالية (1993)، إضافة إلى مجموعة من الكتب التي تناولت القضية الفلسطينية من زوايا سياسية وثقافية، منها مسألة فلسطين (1979)، بعد السماء الأخيرة (1986)، لوم الضحية (1988)، تغطية الإسلام (1981)، وتأملات حول المنفى (2000)، إلى جانب الآلهة التي تفشل دائمًا، الذي تضمن مقالات فكرية تعالج العلاقة بين المثقف والسلطة، والموقف النقدي الواجب اتخاذه تجاهها.

1- عابد عبد الله أحمد. إدوارد سعيد: حياته وسيرته وآثاره وإنتاجه، مرجع سابق، بتصرف.

في تأملات حول المنفى، يعرض سعيد مقالات تراكمت عبر 35 عامًا من عمله الأكاديمي في جامعة كولومبيا، حيث كتب في مجالات متعددة تشمل السياسة، والنقد الأدبي، والغربة، والهوية، وفن العزف على البيانو، والأدب العربي الحديث، مشيرًا إلى تجربة المنفى كإطار وجودي وفكري لمثقف يعيش بين ثقافتين.

أما في الآلهة التي تفشل دائمًا، فقد شدد سعيد على الدور الحيوي للمثقف الناقد، داعيًا إلى مواجهة السلطة والمؤسسات الفكرية السائدة بصوت واضح وتحليل عقلاني، يرفض الانسياق وراء الأفكار المعلبة أو التكرارات الإعلامية. أما كتاب الاستشراق، فقد أحدث صدى واسعًا في الأوساط الأكاديمية والسياسية، إذ شكك في حيادية المعرفة الغربية حول الشرق، مبيّنًا كيف تم توظيف المعرفة لصالح الهيمنة السياسية والاستعمارية. كما أثار الكتاب اهتمامًا خاصًا لدى القرّاء العرب، إذ وجدوا في أطروحته تعبيرًا عن وعيهم الجمعي تجاه التشويه الممنهج لصورتهم في الخطاب الغربي.

وقد أشار الباحث رشيد الخالدي إلى التأثير المستمر لأعمال سعيد، خصوصًا في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، مشددًا على دوره الفريد كصوت مضاد للهيمنة الإعلامية الغربية، وعلى مساهمته المحورية في تشكيل وعي الجمهور الأمريكي بإنسانية الشعب الفلسطيني. وفي كتابه تغطية الإسلام، الذي يُعد جزءًا من ثلاثية نقدية شاملة، ناقش سعيد الطريقة التي يُقدَّم بها الإسلام في الإعلام الغربي، خصوصًا الأمريكي، محذرًا من التوظيف السياسي والثقافي لصورة الإسلام كتهديد. لقد واصل سعيد، من خلال هذا الكتاب، تفكيك العلاقات بين المعرفة والسلطة، واستكشاف آليات التحيز الإعلامي الذي يصوغ وعي المجتمعات الغربية تجاه "الآخر" الإسلامي والعربي[1].

1- عابد عبد الله أحمد. إدوارد سعيد: حياته وسيرته وآثاره وإنتاجه، مرجع سابق، بتصرف.

ثانيا: تعريف ادوارد سعيد للاستشراق

يُعدّ مصطلح "الاستشراق Orientalism" من أكثر المفاهيم تداولًا في الخطابات الفكرية المعاصرة، خاصة في سياقات الحديث عن الهيمنة الثقافية والغزو الفكري. وقد عرّفه عدد من الفلاسفة والمستشرقين الغربيين بتعريفات متعددة تعكس خلفياتهم الأكاديمية وغاياتهم البحثية. ففي السياق الإنجليزي، يعتمد الباحث البريطاني "آربري (A. J. Arberry) "على تعريف "قاموس أكسفورد" للمستشرق، والذي جاء فيه أنه "من تبحر في لغات الشرق وآدابه".

بينما يوضح المستشرق الفرنسي الشهير "مكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) "أن الاستشراق ظهر كضرورة علمية: "إنما ظهر للحاجة إلى إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق"، ويضيف أن "الحاجة كانت ماسة لوجود متخصصين على إنشاء المجلات والجمعيات والأقسام العلمية". في السياق العربي الإسلامي، قدم الدكتور أحمد عبد الحميد غراب مجموعة من التعريفات للاستشراق، ثم جمعها في تعريف شامل يعدّ من أكثر التعريفات وضوحًا في الدوافع والغايات، حيث يقول: "هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون – من أهل الكتاب بوجه خاص – للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وثقافة وحضارة، وتاريخًا، وثروات وإمكانات... بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم، ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تُدعى العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي. ويضيف غراب في محاولة توسيع المفهوم إلى تجلياته الإعلامية والمعرفية، أن "الاستشراق هو كل ما يصدر عن الغربيين من أوروبيين وأمريكيين من دراسات أكاديمية تتناول قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، والشريعة، والاجتماع، والسياسة أو الفكر أو الفن. وكل ما تبثه وسائل الإعلام الغربية سواء بلغتهم أو باللغة العربية من إذاعات أو تلفاز أو أفلام سينمائية أو رسوم متحركة أو قنوات فضائية أو ما تنشره صحفهم من كتابات تتناول المسلمين وقضاياهم". كما يربط غراب بين الاستشراق وما يكتبه النصارى العرب مثل الأقباط والمارونيين "ممن ينظر إلى الإسلام من خلال

المنظار الغربي"، وأيضًا "ما ينشره الباحثون المسلمون الذين تتلمذوا على أيدي المستشرقين وتبنوا كثيرًا من أفكارهم."[1]

يُعرّف إدوارد سعيد الاستشراق بوصفه مفهوماً متعدد الأبعاد، يحمل في طياته معاني متشابكة ومترابطة تعكس تعقيد الظاهرة وتنوع تجلياتها. ففي أحد أبرز تعريفاته، يرى سعيد أن الاستشراق "مبحث أكاديمي" يمارس ضمن المؤسسات التعليمية والجامعية، مشيراً إلى أن الاستشراق "مبحث أكاديمي"[2]، وهو ما يدل على ارتباطه بالإنتاج المعرفي الرسمي والمؤسسي في الغرب. غير أن سعيد لا يقتصر في توصيفه على الجانب الأكاديمي فقط، بل يوسّع نطاق المفهوم ليشمل بُعداً خطابياً ومؤسساتياً، حيث يؤكد أن الاستشراق هو "أسلوب للخطاب، أي التفكير والكلام تدعمه مؤسسات ومفردات وبحوث علمية، وصورة ومذاهب فكرية، بل وبيروقراطيات استعمارية وأساليب استعمارية"[3]. وهذا يعني أن الاستشراق ليس مجرد عملية بحثية، بل خطاب مُنظم يرتكز على ترسانة من الأدوات والمفاهيم التي تخدم أهدافاً سياسية وثقافية.

يمضي سعيد إلى وصف الاستشراق بأنه نوع من الفهم "القائم على المكانة الخاصة التي يشغلها هذا الشرق في الخبرة الأوروبية الغربية"[4]، ما يعني أن الشرق يمثل عنصراً مركزياً في تشكيل الهوية الغربية. وفي سياق أكثر شمولاً، يُعرّف الاستشراق بأنه "أسلوب للتفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى الشرق وبين ما يسمى في معظم الأحيان

1–هاشم، أبو الحسن علي. "الاستشراق والاستغراب."مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، المجلد25، العدد25,2016.ص319–321.

2–سعيد إدوارد، الاستشراق: ترجمة كمال أبو ديب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية،1995،ص 44.

3– سعيد إدوارد، الاستشراق، مرجع سابق، نفس الصفحة.

4–سعيد ادوارد، مرجع سابق، ص43.

الغرب"[1]. وهذا التمييز ليس بريئاً أو اعتباطياً، بل ينبني على تصورات أيديولوجية تُوظّف في صياغة السياسات الثقافية والاستعمارية. ويشير سعيد إلى أن عدداً كبيراً من الكتاب الغربيين، من شعراء وروائيين وفلاسفة ومفكرين سياسيين، قد تبنوا هذا التمييز كمرتكز أساسي لبناء تصوراتهم عن الشرق. يقول ادوارد سعيد في هذا السياق: "فإن عدداً من الكتاب من بينهم شعراء وروائيين، وفلاسفة وأصحاب نظريات للسياسة وغيرهم قبلوا التمييز بين الشرق والغرب باعتباره نقطة انطلاق لوضع نظريات مفصلة، وكتابة روايات، وإقامة دراسات سياسية عن الشرق"[2]، مثل ألفونس دو لامارتين، جيرار دي نورفال، وفلوبير. لقد استند سعيد إلى العديد من النصوص الكلاسيكية والمعاصرة في الأدبيات الاستشراقية، مثل خطابات أرثر بلفور وروايات فلوبير، ليثبت أن تشكُّل المعرفة الاستشراقية لا ينفصل عن القوة العسكرية والسياسية، وأنها مغموسة في مشروع السيطرة والتفوق الغربي. ويرى أن الاستشراق "مشروع ثقافي بريطاني وفرنسي المنشأ، له أبعاد متعددة"[3]، ويتجلى في مؤسسات علمية، مناهج دراسية، جيوش استعمارية، وأفكار نمطية مثل "الاستبداد الشرقي" و"نزوع الشرق للقسوة." أما المعنى الثالث الذي يقدمه سعيد فهو معنى يرتكز على العناصر التاريخية والمادية، إذ يرى أن الاستشراق مؤسسة جماعية انبثقت منذ أواخر القرن الثامن عشر للتعامل مع الشرق، ويعرّفه بأنه: "أسلوباً غربياً للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه"[4]. وهنا، يصبح الاستشراق جزءاً من آليات السيطرة الغربية التي تتجاوز المعرفة إلى فرض الهيمنة السياسية والثقافية. من هذا المنطلق، يُحدد سعيد ثلاث دلالات رئيسية للاستشراق: الدلالة الأكاديمية، والدلالة التخيلية أو الخطابية، ثم الدلالة السياسية الاستعمارية القائمة على التسلط. ويرى أن هذه الدلالات تتقاطع جميعها لتشكل خطاباً واحداً يعبر عن

1–سعيد ادوارد، الاستشراق، مرجع سابق، مرجع سابق، ص.45

2– سعيد إدوارد، الاستشراق، مرجع سابق، نفس الصفحة.

3–سعيد ادوارد، مرجع سابق، ص47.

4–سعيد ادوارد، مرجع سابق، ص46.

تمثيل الغرب للشرق وفقاً لرؤية متعالية ومهيمنة. ويضيف سعيد بُعداً إبستمولوجياً لنقده، مشيراً إلى أن الاستشراق لم يتكون بشكل عشوائي، بل كان ثمرة "اهتمامات تاريخية"، حيث تطور من كونه صفة للعالم الشرقي إلى أن أصبح "واقعا يتصوّره ويتخيله الغرب"[1]. وبالتالي، فإن الشرق "الاستشراقي" هو بناء ذهني غربي، يتجلى كصورة ثابتة ومجردة ومفصولة عن واقعها التاريخي و الثقافي. وفي تحليله النقدي، يشدد سعيد على أن الاستشراق يعاني من ثبات تصوري مفرط، ويقول: "تعتبر جوانب قصور الاستشراق هي نفسها جوانب القصور الناجمة عن تجاهل إنسانية ثقافة أخرى [...] ولكن الاستشراق قد خطا خطوة أبعد من ذلك فهو يرى أن الشرق يقتصر وجوده على ما يُشاهد، بل إنه ظل ثابتا في الزمان والمكان بالنسبة للغرب"[2]. هذا التثبيت هو ما يجعل من الاستشراق خطاباً استحواذياً يُقصي الآخر ويحتكره في قالب نمطي لا يسمح له بالتغير أو التعبير عن ذاته.

إن إدوارد سعيد في "الاستشراق" لا يكتفي بتفكيك الخطاب الغربي حول الشرق، بل يفضح آليات تكوينه وتوظيفه، مسلطاً الضوء على البنية العميقة التي تسمح لهذا الخطاب أن يحل محل الثقافة الأصلية ويجردها من إنسانيتها وتاريخها.

1–ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، نفس الصفحة.

2– ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص129.

ثالثا: بنى الاستشراق: للاستشراق الكامن و الاستشراق الظاهر

1-بنى الاستشراق:

في الفصل الثاني من كتاب الاستشراق، يُركّز إدوارد سعيد على تتبّع المراحل المبكرة لما يُسميه "الاستشراق الحديث"، وهو التحوّل الذي جرى على الخطاب الاستشراقي منذ أواخر القرن الثامن عشر. ففي حين كان الاستشراق، حتى ذلك القرن، يستمد مقولاته وتحليلاته انطلاقًا من أسس دينية، تنظر إلى الشرق الإسلامي باعتباره "الشرق الجوهري" الذي يُهدد المسيحية، فإن التحوّلات الفكرية والسياسية التي عرفتها أوروبا في عصرَي القرون الوسطى والنهضة ساهمت في إحداث تطور نوعي في مقاربة الشرق. يستشهد سعيد برواية غوستاف فلوبير "بوفار وبيكوشيه" باعتبارها نموذجًا دالًا على هذا التحول، مبيّنًا كيف انتقل الاستشراق من التقصّي الديني الذي قاده الرهبان واحتكرته الكنيسة، إلى فرع من فروع المعرفة العلمانية المنخرطة في العقلانية الحديثة. هذا التحول كان نتيجة لتضافر أربعة عناصر رئيسية مهدت لبروز الاستشراق الحديث، ويمكن تلخيصها في الآتي:

أ. التوسع الشرقي (L'extension de l'Orient):

يبيّن سعيد أن صورة "الشرق" توسّعت جغرافياً إلى ما هو أبعد من العالم العربي الإسلامي نتيجة للاستكشافات الأوروبية المستمرة، التي أتاحت سيطرة استعمارية مباشرة على أجزاء واسعة من العالم. رافقت هذه السيطرة تطورات معرفية، تجلّت في ازدهار أدب الرحلات والمغامرات والتقارير العلمية والأثرية، ما ساعد على نقل الشرق معرفيًا من موضع "الدونيّة" و"الاحتكار الكنسي" إلى "معرفة أكثر حدّة وتركيزاً"، الأمر الذي أدى إلى تراجع تأثير النصوص الكنسية لصالح تجديد فكرة "الشرق" وأهله[1]. وهكذا، لم يعد الإسلام وحده يمثّل الشرق بل توسّع ليشمل مناطق أخرى مثل الهند، الصين، اليابان، إلى جانب ديانات

1-ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق،ص140.

كالبوذية، السنسكريتية والزرادشتية، لكن هذا التوسّع، وفق سعيد، لم يُقابله تحوّل موازٍ في استراتيجية العرب تجاه ذاتهم "والآخر". على العكس تمامًا، فقد عزز وضعية أوروبا بصفتها "المركز الامتيازي" القادر على إبقاء هذه المناطق تحت السيطرة والخضوع مستقبلاً.

ب. المجابهة التاريخية:

علاقة الشرق بالغرب طوال التاريخ، كانت–كما يصفها سعيد–علاقة تبادل وصراع، أدت إلى إعادة صياغة التاريخ وفهمه بصورة مختلفة خلال القرن الثامن عشر. حيث أدرك مؤرخون مثل إدوارد غيبون (E. Gibbon) أهمية مقارنة التجربة الأوروبية بحضارات أخرى، ما سمح بفهم "الأنا" (الأوروبية) بصورة أوضح. وهذا يفسّر التحوّل في تعامل المؤرخين مع الشرق؛ فإذا كان مؤرخو عصر النهضة قد نظروا إلى الشرق نظرة "علو" و"صلابة"، فإن مؤرخي القرن الثامن عشر واجهوا الشرق بقدر أكبر من "الانفصالية" و"التجرّد"، كما سعوا إلى التعامل مع المصادر الشرقية الأصلية[1]. ويُمكن ملاحظة هذا التحوّل في أعمال جورج سيل أثناء تعامله المباشر مع التراث العربي الإسلامي، وكذلك في كتابات غيبون عن النبي محمد–إذ لم يقدّمه "كافراً" أو "نبيّاً زائفاً"، بل شخصية تاريخية أثرت في الشرق والغرب على حد سواء.

ج. التلبُّس المتعاطف(L'identification Sympathique):

يُشير سعيد إلى عنصر ثالث مهّد لظهور الاستشراق الحديث، وهو ما سُمّي بـ"العلمانية التاريخانية" التي ظهرت في القرن الثامن عشر، على يد مفكرين مثل فيكو(Vico) ، هيردر (Herder)، وهامان(Hamann) ، الذين آمنوا أن لكل ثقافة "روح" أو "عبقرية" لا يستطيع فهمها سوى "التعاطف التاريخي". وأسهمت هذه الرؤى في تليين الحدود التي وضعتها

1-ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق،ص141.

الكنيسة عبر الثنائية التقليدية "الإسلام/المسيحية"، لتفتح المجال أمام محاولة فهم "الآخر" خارج الأطر اللاهوتية الصارمة.

د. التنميط(Stereotyping):

شهد القرن الثامن عشر أيضًا بروز تيارات فكرية تأثرت بالاكتشافات العلمية والبيئية، حيث ازداد التوجّه نحو تصنيف الشعوب استنادًا إلى الفروقات العرقية والثقافية. تجاوزت هذه التصنيفات ثنائية "الأمم المقدسة/الأمم المدنية" (كما عند فيكو) لتصبح أكثر دقة من خلال تحديد السمات الفيزيولوجية، النفسية، والأخلاقية لكل شعب. على سبيل المثال: "الأمريكي أحمر سريع الغضب"، "الآسيوي سوداوي متصل"، بينما "الأفريقي لا مبالٍ وحامل". وهكذا، طغت الفروقات العرقية على التصورات الدينية التقليدية.

بعد تحليله لهذه العناصر، يُشير سعيد إلى أنها لعبت دورًا فاعلًا في تشكّل البُنى الاستشراقية على مسارات الاستشراق الكامن والسافر. ومع ذلك، يُحذّر من تجاهل "الأنساق الدينية القديمة" التي أعادت إنتاج نفسها ضمن أطر "العلمانية الحديثة"[1]. ويضيف أن ما يبدو "معرفة غربية حكيمة" حول الشرق، ليس سوى "إعادة هيكلة "لخيال تاريخي استشراقي، احتفظ بأوهامه رغم التحولات الفكرية. بل إن سعيد يرى أن العديد من المستشرقين بالغوا في "تشويه" الشرق من خلال إعادة إنتاج أفكار رينان وعنصرية "فقه اللغة"، التي—رغم جهودها في تحقيق التراث العربي وحفظه من النسيان–لم تفلت من منطق المركزية الغربية. وهو ما يحفّز، بحسب سعيد، على الحذر من "الانتقائية" في اختيار المستشرقين وإقصاء آخرين، حتى لا يقع الباحث في "عمومية الأحكام".

1-ادوارد سعيد، الاستشراق، مرجع سابق، ص143.

2- الاستشراق الكامن و الاستشراق الظاهر:

بحلول منتصف القرن التاسع عشر، أضحى الشرق وأقاليمه مصدر جذبٍ لا يقاوم لكل من الحاج المؤمن، والمغامر المستكشف، وعالم الآثار أو الأنثروبولوجيا، بل وحتى الاقتصاديين وصنّاع السياسات. وقد اقترن هذا الإقبال المتزايد بازدهار ما يُعرف بصناعة المعرفة الاستشراقية، التي تمحورت، وفقًا لتحليل إدوارد سعيد، حول الخلفيات والخطاطات الذهنية التي رسمها المستشرقون عن الشرق، والتي سعت إلى تأكيد التفاوت البنيوي بين عقلانية الغرب وتفوقه، من جهة، وروحانية الشرق وتخلّفه من جهة أخرى. ويكفي للدلالة على هذا الاهتمام الاستثنائي أن نشير إلى أن نحو 60,000 كتاب قد نُشر في الغرب بين عامي 1800 و1950 حول الشرق الأدنى، مقابل ندرة واضحة في الإنتاج المعرفي الشرقي حول الغرب، وهو تفاوت دلالي يعكس بجلاء ما يسميه سعيد بـ"شدودية" الاستشراق و"التقائية" أهدافه.

غير أن سعيد لا يُسقط المسؤولية كاملة على الغرب؛ إذ لا يُغفل البتة مسؤولية المجتمعات الشرقية عن حال التخلّف الذي استدعته الرؤية الاستشراقية، بل يرى أن الإقبال العربي على دراسة الشرق والكتابة عنه لم يكن إلا امتدادًا لقصة استشراقية أوروبية بدأت قبل وأثناء القرن التاسع عشر، على غرار الحماسة الأوروبية تجاه التراث اليوناني واللاتيني إبان عصر النهضة. وفي هذا السياق، يستحضر سعيد دراسة ريمون شفاب Raymond Schwab التي توثق ما سمّاه بـ"النهضة الشرقية(Renaissance Orientale) "، والتي انطلقت كفصل جديد من فصول النهضة الأوروبية، رافقت بدايات المرحلة الذهبية للاستعمار الأوروبي، قبل الثورة الصناعية وأثناءها. وقد أكد شفاب أن هذا الاهتمام بالشرق لم يكن وليد شغف عابر، بل تأسس على تعطّش الثقافة الغربية إلى مرجعيات جديدة بديلة عن المنابع الكلاسيكية الإغريقية والرومانية.

لقد أصبح اكتشاف الشرق، بحسب سعيد، أداة لاستكشاف الذات الغربية من خلال الآخر، وهو ما أشار إليه في استشهاده بفيكتور هوغو Victor Hugo الذي قال: "في عهد لويس الرابع عشر كان المرء يُلْهِم بالتعرّف، أما الآن فإن المرء مستشرق"[1]. ورغم أن البدايات الرسمية للاستشراق تعود إلى قرار مجمع فيينا الكنسي عام 1312، الذي نص على تأسيس كراسي لتدريس العربية والعبرية والسريانية واليونانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينيون، فإن نقد سعيد ينصبّ تحديدًا على مرحلة الحداثة الاستشراقية التي بدأت مع الحملة النابليونية على مصر عام 1798. لكن، وعلى الرغم من هذا التاريخ الطويل، يرى سعيد أن المسافة المعرفية الفاصلة بين ما قاله المستشرقون عن الشرق لم تتقلّص، بل بقيت ثابتة، إذ لا تختلف مخرجات الاستشراق المعاصر جوهريًا عن إنتاجات أسلافه، من هوميروس إلى غرويبوم Grunebaum. ويشير سعيد إلى أن الفوارق بين هؤلاء تكمن فقط في الأسلوب أو النبرة الشخصية، دون أن تمس مضمون الرؤية. وهذه الرؤية المتكرّرة عن "الشرق الجوهراني" لم تتغير حتى مع أكثر المفكرين الأوروبيين استنارة، مثل رينان، ماركس، فولتير، وفرويد. فهؤلاء، بحسب سعيد، لم يتجاوزوا في كتاباتهم الصور النمطية الموروثة عن الشرق، ولم يتحدوا رواسب "الاستثنائية الشرقية" مثل اللامبالاة، الكسل، والتقوقع. هذه النتيجة تقود سعيد إلى استنتاج مفاده أن تطور المعرفة المتخصصة بالشرق هو "عملية بطيئة جدًا"، لأنها ليست مجرد تراكم معلوماتي، بل عملية انتقائية تقوم على التكديس، والإزاحة، والحذف، وإعادة الترتيب. ومن هذا المنطلق، يميز سعيد بين نوعين من الاستشراق: الاستشراق الكامن والاستشراق الظاهر.

أ- **الاستشراق الكامن:** هو ذلك البُعد البنيوي الثابت في الفكر الغربي، الذي يضبط آليات التفكير حول الشرق منذ أن أصبح "موضوعًا للدراسة" وحتى لحظة مقاربته من قِبل مستشرقين معاصرين أمثال غرويبوم، مرورًا بفولتير، وماركس، ورينان. ويؤكد سعيد أن

1-Au siecle de Louis XIV on était helléniste, maintenant on est orientaliste. Victor Hugo, Les Orientales: Feuilles d'automne Préface de l'edition originale, Edition Gallimard,p:23.

"المادة الشرقية"[1] لم تكن يومًا موضع مراجعة حقيقية أو نقد جذري. ولتأكيد هذا المعطى، يستشهد بدراسة "جاك فاردنبرغ Jacques Waardenburg "التي رصدت خمس خصائص تميز الرؤية الغربية إلى الإسلام، ووصفتها بأنها "عدائية ومتحيرة"، معتبرة أن الفروق بين مناهج هؤلاء المستشرقين تبقى أقل أهمية من اتفاقهم على رؤية الإسلام كدين يحمل "دونية كامنة".

ب- الاستشراق الظاهر: يشير إلى تجليات الخطاب الاستشراقي في اللغة والأسلوب، وفي أدبيات الاستشراق المتنوعة، بما في ذلك الأدب، واللسانيات، والتاريخ، والآثار، وغيرها. فالتغيرات في المعرفة بالشرق، إن حصلت، فإنما تقع في هذا المستوى فقط، وتبقى رهينة قواعد بنيوية لا تسمح للمستشرق بتجاوزها. حتى حين خضع الاستشراق في القرنين التاسع عشر والعشرين لتأثيرات مدارس فكرية كالماركسية، والداروينية، والفرويدية، والهيغلية، فإن "الاستشراق الظاهر"[2] لم يُسائل يومًا "الجوهر الثابت"[3] الذي تصوره الغرب عن الشرق.

ويُعيد سعيد هذا التمايز بين الكامن والظاهر إلى اختلاف بين "ما يسكن في اللاوعي الغربي عن الشرق"[4]، وبين "ما يُصرّح به المستشرق عند معايشته للواقع الشرقي". إلا أن سعيد، رغم هذه القسمة، لا ينكر إمكانيات التداخل بين الاستشراقين الكامن والظاهر، خاصة عندما تواجه أنماط الاستشراق الجامدة واقع الشرق المتغير، الأمر الذي قد يُحدث نوعًا من "الارتجاج الداخلي" في منظومة الاستشراق نفسها. ومع ذلك، يبقى سعيد، في أطروحته، وفيًا لموقفه من "سكونية المعرفة الاستشراقية"، التي يرى أنها لا تزال أسيرة ثوابت تتجاوز تغير الزمن وتطور الفكر. فالخطاب الاستشراقي في نظره لا يعدو أن يكون "سلسلة غير منقطعة

1-سعيد إدوارد، الاستشراق: ترجمة كمال أبو ديب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية،1995، ص80.

2-سعيد ادوارد، الاستشراق، مرجع سابق، ص220.

3-سعيد ادوارد، مرجع سابق، ص217.

4-سعيد ادوارد، مرجع سابق، نفس الصفحة.

من التكرار"، تقوم على فرضيات تأسيسية لا يتم التشكيك فيها. وهو ما يعني، وفقًا لسعيد، أن الرواية التاريخية للاستشراق نفسها تحتاج إلى مراجعة جذرية. وفي هذا السياق، يستند سعيد في تحليله للاستشراق الكامن إلى استقصاءات ميشيل فوكوMichel Foucault، ولا سيما مفهومه عن "اللاشعور البنيوي" الذي يتحكم في أنماط التفكير داخل كل ثقافة. إذ يردد فوكو: "في كل ثقافة، وفي كل لحظة من لحظاتها، لا توجد سوى إبستيمية واحدة، هي التي تحدد شروط إمكان أي معرفة، سواء تجلّت في نظرية أم في ممارسة"[1].

وقد أثار هذا الطرح المتعلق بـ"لا تاريخية الاستشراق" و"جموده"، انتقادات من مفكرين عرب مثل صادق جلال العظم، الذي رأى أن سعيد – من حيث لا يدري – أعاد إنتاج مقولة "الطبائع الثابتة"، عبر تصويره "العقل العربي" كجوهر ثابت[2]. واعتبر العظم أن هذه النتيجة تُعد انزلاقًا نحو"الاستشراق المعكوس". وفي الوقت ذاته، أشار باحثون مثل عبد الغني أُصيّف، وفضل النقيب، إلى ضرورة التمييز بين المعرفة الغربية حول الشرق والمعرفة العربية حول ذاتها، حتى لو اختلفوا في توصيف طبيعة تلك المعرفة. وقد عزا محمد عابد الجابري هذا الانزلاق إلى ما سماه "الترعة الاستشراقية في صفوف التقدميين العرب"، وهي النزعة التي سبق أن حذر منها مالك بن نبي مرارًا.

1-Michel Foucault, Les mots les choses, Paris Gallimard 1966, p:179.

2–صادق جلال العظم، دهية التحريم، دار الهدى للثقافة و النشر، سوريا، الطبعة الثالثة1977،ص19.

رابعا: التمثيل الغربي للشرق

يرتكز إدوارد سعيد على فكرة أن الاستشراق ليس مجرد دراسة موضوعية للشرق، بل هو خطاب معرفي–سلطوي أعاد تشكيل الشرق بوصفه "آخر" مختلف كليًا عن الغرب. يصوّر الخطاب الغربي الشرق على أنه كائن غريب، متخلف، غير عقلاني، خاضع للشهوة أو الخرافة، في مقابل الغرب الذي يظهر عقلانيًا، تقدميًا، متماسكًا. لا يُعرض هذا "الشرق" بوصفه واقعًا، بل تمثيلًا يتكرّر في الأدب، والفن، والعلوم الاجتماعية. سعيد يُبيّن أن هذا التمثيل لم يكن عبثيًا، بل خضع لمنظومة مؤسساتية ضخمة: جامعات، بعثات استكشافية، مراكز بحثية، وحتى بعثات تبشيرية، كلها ساهمت في بناء صورة الشرق الذي يجب فهمه، تأويله، وفي نهاية المطاف، السيطرة عليه.

1- الاستشراق كأداة لإنتاج المعرفة الموجّهة:

في تحليله للفصل الثالث تحديدًا، يُبرز سعيد كيف أن الاستشراق لم يكتف بتقديم صور للشرق، بل أسّس نظامًا معرفيًا يُنتج "الشرق" بوصفه مادة قابلة للتصنيف والدراسة، لكن وفق شروط الغرب. فالمعرفة المنتجة ليست انعكاسًا لحقيقة شرقية، بل بناء خاضع لمفاهيم القوة والسلطة. ولهذا السبب، لم يكن من الممكن فصل الخطاب الاستشراقي عن سياسات الهيمنة والاستعمار. تظهر هذه الفكرة جليًا في مقارنة سعيد بين نصوص الرحالة والأكاديميين الذين لم يكتفوا بوصف المكان أو الشعب، بل نسبوا له خصائص ثقافية وجوهرية ثابتة، كأن "الشرقي" بطبيعته مستبد، أو أن "المرأة الشرقية" خاضعة وأداة للمتعة، أو أن "الإسلام" دين عنف وجمود. هذه الصور تُعيد إنتاج الهيمنة من خلال تقنيات الخطاب نفسها.

2-آليات التمثيل في الأدب والفن والسياسة:

يُبرز إدوارد سعيد الدور المركزي الذي تلعبه آليات التمثيل الثقافي في الأدب، والفن، والسياسة في إنتاج صورة نمطية عن الشرق تخدم مصالح الهيمنة الغربية. فالأدب، بما فيه من روايات ومذكرات رحلات، لم يكن مجرد تعبير جمالي، بل كان أداة معرفية تشكّل وعي

القارئ الأوروبي بالشرق. من خلال أعمال مثل روايات جيمس مويريه (James Morier) وقصائد لورد بايرون(Lord Byron) ، يتم بناء صورة عن "شرق خياليexotic "، يمزج بين الإغراء والغموض والانحطاط، ويستحضر سرديات ألف ليلة وليلة، لكنه في جوهره يُقدَّم كفضاء عاجز عن التعبير عن ذاته، وغير قادر على تسيير شؤونه، ما يبرر الحاجة إلى تمثيله أو "إنقاذه" من خلال التدخل الغربي.

هذا التمثيل الأدبي لم يكن معزولًا عن الحقل السياسي، بل انتقل إليه ضمن ما يسميه سعيد بـ"الخطاب الإمبريالي"، حيث جرى توظيف هذه الصور الثقافية في صياغة خطاب استعماري يضفي على الاحتلال طابعًا أخلاقيًا أو إنسانيًا، عبر ما سُمّي بـ"رسالة التمدين " (Mission civilisatrice).فتمثيل الشرق كمكان جامد، خامل، ومُحتاج، شكّل خلفية أيديولوجية تشرعن الفعل الاستعماري وتخفي طبيعته القهرية خلف واجهات ثقافية أو إنسانية . كما امتد هذا التمثيل إلى الفنون البصرية، حيث جسّدت اللوحات الاستشراقية – خاصة تلك التي أنجزها فنانون كأنطوان جان غروس (Antoine-Jean Gros) أو جان ليون جيروم –(Jean-Léon Gérôme) الشرق باعتباره فضاءً شهوانيًا وفوضويًا. المرأة الشرقية صُوّرت في أوضاع استعراضية، في الحريم أو الحمامات، بشكل يُفرغها من الإنسانية ويجعلها موضوعًا للمتعة البصرية الغربية. في مقابل ذلك، تُقدَّم "المدينة الأوروبية" في المتن الثقافي الغربي كنموذج للتحضر والنظام والعقلانية. هذه الثنائية القطبية بين "الشرق الفوضوي" و"الغرب المتحضر" أصبحت جزءًا من البنية الثقافية العميقة التي تُعيد إنتاج نظرة العالم الغربي إلى الشرق.

ولم تتوقف آليات التمثيل عند هذه المرحلة، بل وجدت امتداداتها في الوسائط الحديثة كالإعلام والسينما، حيث ما تزال أنماط التصوير الاستشراقي تتكرر، كما هو الحال في الأفلام الهوليوودية أو نشرات الأخبار الغربية، التي كثيرًا ما تُقدِّم الشرق الأوسط كمنطقة حروب، تطرف، أو فساد، دون تحليل بنيوي للسياقات السياسية والاجتماعية. بهذا، يُظهر

سعيد كيف أن التمثيل لا يُنتج فقط "معرفة عن الآخر"، بل يرسّخ نظامًا من الهيمنة الثقافية يوازي في أهميته الهيمنة السياسية والاقتصادية.

3–نقد الاستشراق بوصفه خطابًا مؤسسيًا للهيمنة:

يرى سعيد أن أخطر ما في الاستشراق هو أنه لم يُقدَّم باعتباره أيديولوجيا، بل باعتباره علمًا محايدًا. هذا ما يجعل التمثيل الغربي للشرق خطرًا مزدوجًا: فهو من جهة يقدم معرفة مشوهة، ومن جهة أخرى يُقنع المتلقّي بأنها موضوعية.

سعيد يعتمد على فوكو في تأكيد أن الخطاب الاستشراقي لا يُمكن فصله عن السلطة. فكل تمثيل يُنتج عبر خطاب، وكل خطاب يخدم منظومة سلطة. لذا، فإن صورة "الشرق" التي تظهر في الخطاب الغربي لم تنشأ من تفاعل حضاري، بل من حاجة الغرب لتبرير التفوق والهيمنة[1].

1–سعيد إدوارد، الاستشراق: ترجمة كمال أبو ديب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية،1995، بتصرف.

خلاصة:

تبيّن من خلال هذا الفصل أن إدوارد سعيد قد أعاد تعريف مفهوم الاستشراق بطريقة جذرية، حيث كشف عن أبعاده الأيديولوجية والسياسية، مظهرًا أنه ليس مجرد حقل معرفي بريء، بل هو بناء ثقافي–سياسي هدفه ترسيخ هيمنة الغرب على الشرق. لقد أوضح سعيد أن الاستشراق يشكل إسقاطًا غربيًا على الشرق يتغذى من تصورات نمطية تاريخية تشكّلت عبر القرون، ليصبح أداة لفرض السلطة المعرفية والرمزية على المجتمعات الشرقية. ميّز سعيد بين الاستشراق الكامن، الذي يتمثل في التمثلات اللاواعية والثابتة للشرق في الثقافة الغربية، والاستشراق السافر، الذي يظهر بوضوح في الكتابات والنصوص والمؤسسات الأكاديمية والثقافية. هذا التمييز أتاح فهمًا أعمق لكيفية استدامة الخطاب الاستشراقي وتجدده عبر الزمن. كما كشفت دراسة بنية الاستشراق عن مجموعة من الآليات الفكرية والمنهجية التي استخدمها المستشرقون في تمثيل الشرق، بما في ذلك فقه اللغة والأنثروبولوجيا والسرد الرحلي. وأظهرت التحليلات أن هذا البناء المعرفي لم يكتف بتوصيف الشرق، بل أسهم فعليًا في إعادة تشكيله وفقًا لمصالح الغرب الاستعمارية والثقافية. سلطت الدراسة الضوء على أشكال التمثيل الغربي للشرق، حيث لم يكن التمثيل مجرد انعكاس لواقع موضوعي، بل كان فعلًا واعيًا من أفعال السيطرة المعرفية، تم خلاله اختراق الحقول المقدسة والثقافية للشرق وإعادة صياغتها ضمن رؤية غربية تنزع عنها خصوصيتها التاريخية والروحية.

الفصل الثالث

المعرفة و السلطة في نقد ادوارد سعيد للاستشراق

مدخل:

أولا: المعرفة في استشراق ادوارد سعيد

ثانيا: مظاهر السلطة في الخطاب الاستشراقي

ثالثا: الاستشراق و جدلية المعرفة و السلطة

مدخل:

يعد فهم العلاقة بين المعرفة والسلطة من المرتكزات الأساسية في تحليل الخطاب الاستشراقي كما قدمه إدوارد سعيد. إذ كشف سعيد كيف أن إنتاج المعرفة عن الشرق لم يكن ممارسة علمية محايدة، بل كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالبُنى السلطوية التي أسست للهيمنة الغربية على الشرق. من خلال مقاربة نقدية معمقة، أبرز سعيد أن الخطاب الاستشراقي كان يسعى إلى إعادة تشكيل الشرق بما يخدم مصالح القوى الاستعمارية، وأن المعرفة المنتَجة لم تكن سوى أداة من أدوات لتحقيق السيطرة والإخضاع. في هذا الفصل، نحاول تبيان الكيفية التي تتداخل بها المعرفة مع السلطة ضمن خطاب الاستشراق، مع تحليل أهم العناصر التي تكرس هذا التداخل، واستعراض تجليات السلطة المعرفية في السياق الأوروبي. كما نعمل على كشف الآليات التي مكنت الخطاب الاستشراقي من أن يستمر بوصفه بنية فكرية مؤثرة حتى عصرنا الحالي.

أولا: المعرفة في استشراق ادوارد سعيد

1- معرفة الغرب للشرق:

يرى إدوارد سعيد أن الغرب لم يكتفِ فقط بتكوين معرفة عن الشرق، بل صنع "شرقًا" خاصًا به من خلال خطاب شامل وممنهج. هذا الخطاب لم يكن مقتصرًا على النصوص الأدبية والأكاديمية، بل امتد ليشمل السياسيين وصنّاع القرار الذين عبّروا، من مواقع السلطة، عن رؤية ثقافية متكاملة للشرق تعكس تصورًا دونيًا وثابتًا لهذا الآخر. في هذا السياق، يشير سعيد إلى خطاب آرثر بلفور أمام مجلس العموم البريطاني سنة 1910، والذي يعبّر فيه عن قناعته بأن السيطرة البريطانية على مصر ضرورة حضارية، نظرًا لافتقار المصريين – حسب قوله – إلى القدرة على الحكم الذاتي. ويؤكد بلفور على "الاختلاف الجوهري" بين الشرق والغرب، معتبرًا أن هذا الاختلاف يُشرعن الهيمنة ويجعل من "التدخل" الغربي مهمة أخلاقية. ما يلفت انتباه سعيد هنا هو أن هذا الخطاب لا يعكس فقط رأيًا سياسيًا عابرًا، بل يعكس رؤية استعمارية مضمرة في صلب المعرفة الغربية، حيث يصبح الشرق موضوعًا للحكم والتوجيه. ويوازي هذا الطرح ما ورد في كتاب لورد كرومر مصر الحديثة، حيث يعيد كرومر إنتاج الصورة نفسها، معتبرًا أن المسلم الشرقي تحكمه العاطفة أكثر من العقل، وأنه غير قادر على التفكير العلمي أو التنظيمي. ويصف العقل الشرقي بأنه متردد وغير منهجي، في مقابل "العقل الغربي" المتزن والمنطقي. هذا النوع من التنميط يسهم في ترسيخ صورة "الشرقي القاصر"، وهو ما يسمح – وفقًا لسعيد – بتبرير الاستعمار ليس فقط كحاجة أمنية أو اقتصادية، بل كواجب حضاري.

غير أن أهمية هذا المبحث لا تقتصر على تحليل خطابات السياسيين، بل تتجلى أيضًا في تفكيك سعيد للمنطلقات "العلمية" للاستشراق، كما يظهر في تحليله لآراء أرنست رينان، أحد أبرز المستشرقين الفرنسيين في القرن التاسع عشر. يعالج سعيد مقاربة رينان للغات الشرقية، خاصة العربية، من منظور فقه اللغة، حيث ميّز هذا الأخير بين "العقل الآري" و"العقل السامي". اعتبر رينان أن الشعوب السامية – وعلى رأسها العرب – تمتلك لغة مغلقة

جامدة، تعكس بنية عقلية تفتقر إلى التجريد والابتكار. هذه المقاربة اللغوية، التي قد تبدو علمية في ظاهرها، تخفي تحيّزًا ثقافيًا واضحًا وتخدم الغاية ذاتها التي تخدمها الخطابات السياسية: تصوير الشرقي على أنه "آخر" لا يتغير، يتصف بالقصور البنيوي، مما يستدعي تدخل الغرب "المتفوّق" لإصلاحه أو توجيهه.

وهنا يشدد سعيد على أن الاستشراق الكامن لا يقتصر على المواقف الاستعمارية المباشرة، بل يُبنى من خلال تراكم معرفي ومؤسساتي طويل الأمد، يشارك فيه الأدباء والمفكرون واللغويون ورجال السياسة، وتنتج عنه صورة للشرق يُعاد توظيفها في سياقات الهيمنة[1].

1- سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة: كمال أبو ديب. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2003، بتصرف.

2-صورة (الشرقي) في المخيل الانا (الغربي):

لقد ظلّ الشرق في المخيال الغربي عبر العصور موضوعًا لإعادة التشكيل الثقافي والرمزي، في إطار من التحيز البنيوي الذي تتقاطع فيه المعرفة والسلطة. ومنذ أن فضح إدوارد سعيد الأبعاد السياسية والمعرفية لهذا التمثيل في كتابه الاستشراق، اتضح أن الغرب لم يكن يسعى إلى فهم الشرق بقدر ما كان ينشئه مفاهيميًا كـ"آخر" لتكريس ذاته. سعيد يصف الاستشراق بأنه "أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة تشكيله، والسيطرة عليه"، وهو ما يجعل الشرق، في كل تجلياته، مجرد انعكاس لحاجة الغرب إلى تعريف نفسه عبر نقيضه. هذه الفرضية تفتح الباب أمام فهم عميق لطريقة تشكّل صورة الشرق، ليس انطلاقًا من الواقع، بل من خلال ما أسماه البعض بـ"إناء الخيال الغربي"، الذي يُسكب فيه الشرق كما يشاء الغرب: متخلفًا، غريبًا، جامدًا، أو حتى مهددًا.

تُظهر مقاربة إدوارد سعيد للاستشراق أن المعرفة الغربية عن الشرق كانت دومًا موجهة، ولا تُنتج من فراغ، بل تنبني على تراكمات تاريخية من الخطابات الأدبية، الدينية، والسياسية التي تصف "الآخر" من موقع التفوق والتفرد. وهكذا، يتجاوز الاستشراق مجرد تمثيل ثقافي إلى كونه بنية فكرية متكاملة لها وظائف سياسية. وهنا يتحول "الإناء" إلى بنية حاوية تُحصر داخلها كل تجليات الشرق: لغته، معتقداته، ثقافته، وحتى حاضره السياسي. الخطير في الأمر أن هذا التمثيل يجد استمراريته اليوم في وسائل الإعلام الغربية، التي تستند إلى ذات المنطق الاستشراقي، وإن كانت بوسائل حداثية أكثر تأثيرًا وسرعة في الانتشار. الإعلام لا ينقل حقيقة الشرق، بل يُعيد إنتاجه ضمن سردية اختزالية، تنزع عنه السياق والتعدد والتعقيد، لتقدمه في صورة مكرّسة ومختزلة: المسلم كمتطرف، والعربي كبدائي، والمجتمع الشرقي كذكوري متخلف.[1]

1- بلقزيز، عبد الإله. "صورة الشرق عند الغربيين." صحيفة الخليج، 25 فبراير 2024. منشور على موقع إيلاف.

في هذا الإطار، نجد أن الإعلام الغربي يلعب دورًا مركزيًا في إعادة صياغة صورة الشرق ضمن منطق الهيمنة الثقافية. هذا ما بيّنته الباحثة أسماء بوعنانة في دراستها التي تتبعت صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، مؤكدة أن التمثيل الإعلامي لا يأتي اعتباطًا، بل ينبني على عوامل تركيب عميقة تتصل بالتاريخ، بالخطاب الأمني، وبالحاجات السياسية. فوسائل الإعلام تُسهم في بناء الرأي العام على أساس ثنائيات حادة: حضارة/بربرية، عقل/عاطفة، ديمقراطية/ديكتاتورية. وهذه الثنائيات تُستخدم لتبرير السياسات الخارجية، التدخلات العسكرية، أو التمييز ضد المسلمين في الداخل الغربي. هنا، يظهر الإعلام كمصدر أساسي لإعادة تشكيل الشرق داخل الإناء الغربي، بل يمكن القول إن الإعلام هو "الإناء" الحديث الذي يُعاد فيه طهو صورة الشرق كل مرة، وفق احتياجات الخطاب السائد.[1]

في هذا الإطار، نجد أن الإعلام الغربي يلعب دورًا مركزيًا في إعادة صياغة صورة الشرق ضمن منطق الهيمنة الثقافية. هذا ما بيّنته الباحثة أسماء بوعنانة في دراستها التي تتبعت صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي، مؤكدة أن التمثيل الإعلامي لا يأتي اعتباطًا، بل ينبني على عوامل تركيب عميقة تتصل بالتاريخ، بالخطاب الأمني، وبالحاجات السياسية. فوسائل الإعلام تُسهم في بناء الرأي العام على أساس ثنائيات حادة: حضارة/بربرية، عقل/عاطفة، ديمقراطية/ديكتاتورية. وهذه الثنائيات تُستخدم لتبرير السياسات الخارجية، التدخلات العسكرية، أو التمييز ضد المسلمين في الداخل الغربي. هنا، يظهر الإعلام كمصدر أساسي لإعادة تشكيل الشرق داخل الإناء الغربي، بل يمكن القول إن الإعلام هو "الإناء" الحديث الذي يُعاد فيه طهو صورة الشرق كل مرة، وفق احتياجات الخطاب السائد.

1–بوعنانة، أحمد. "صورة الإسلام والمسلم الآخر في الإعلام الغربي: عوامل التشكيل وسبل التغيير." مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 1، العدد 47، 2017، الصفحات 279–288.

3-تمثيل الغرب للشرق:

شنّ إدوارد سعيد نقدًا جذريًا للاستشراق بوصفه آلية استعمارية تخدم مصالح الهيمنة الغربية على الشرق. فقد رأى أن الاستشراق لم يكن مجرد مجال معرفي محايد، بل أسلوبًا ممنهجًا لإعادة تشكيل الشرق وإخضاعه، عبر إنتاج خطاب يرسخ دونية الشرق أمام فوقية الغرب. ومن هذا المنطلق، سعى سعيد إلى التنقيب عن الجذور المعرفية لهذا التمثيل الغربي، كاشفًا عن الأساليب التي من خلالها تمّ نفي الشرق وإقصاؤه عن التقدم، وحصره في قوالب الانحطاط والتخلف.

في مقاربته، تأثر سعيد بأعمال ميشيل فوكو حول "أثريات المعرفة"، إذ اعتبر الاستشراق خطابًا سلطويًا يجب تحليله بوصفه نسقًا معرفيًا يخدم السلطة. وانطلاقًا من هذا الفهم، عمل سعيد على فضح البنى الخطابية التي تغلف مشاريع الاستشراق، مبرزًا كيف أن تمثيل الشرق كان دائمًا محكوما بمنظور الهيمنة الغربية، وسعيها لتعزيز ذاتها عبر إضعاف الآخر.

رغم انقطاعه الجغرافي عن العالم العربي لسنوات، احتفظ سعيد بعلاقة وجدانية عميقة مع الشرق، ما مكنه من قراءة الخطابات الاستشراقية بعين نقدية حادة. لقد سعى إلى تعرية الغرب وكشف النيات الحقيقية الكامنة خلف هذا الخطاب الذي صوّر الشرق كموضوع للهيمنة أكثر من كونه كيانًا مستقلًا. وبذلك يتقاطع طرحه مع أفكار أنطونيو غرامشي حول الهيمنة الثقافية، ومع تحليلات فوكو للسلطة والمعرفة.[1]

يرى سعيد أن الاستشراق أنتج "معرفة" بالشرق ساهمت في ترسيخ المشروع الاستعماري الأوروبي، إذ شكّلت هذه المعرفة جزءًا من البنية الإمبريالية التي مكنت أوروبا من فرض سيطرتها على الشرق. ويؤكد سعيد أن جوهر الاستشراق يكمن في التمييز البنيوي بين تفوق الغرب ودونية الشرق a—تمييزٌ غير قابل للاجتثاث ضمن بنية الخطاب الاستشراقي.

1- بن رجم، عبد القادر، وسليماني، فريدة. فلسفة الاستشراق عند إدوارد سعيد (مذكرة ماستر). جامعة 8 ماي 1945 – قالمة، 2017، بتصرف.

وفقًا لسعيد، فإن المعرفة التي أنتجها الاستشراق لا تعكس حقيقة الشرق بقدر ما تشكل تمثيلًا له، إذ تُنتج عبر اللغة والثقافة والمؤسسات السائدة تصوراتٍ تبتعد عن الواقع. مستشهدًا بنيتشه، يؤكد سعيد أن الحقيقة ليست سوى أوهام تم نسيان كونها أوهامًا. وبناءً عليه، فإن الاستشراق لا يقدم معرفة حقيقية عن الشرق، بل يُعيد تشكيله وتشويهه وفق تصورات الغرب.

يرى سعيد أن الاستشراق يمثل "اختراعًا غربيًا للشرق"، حيث ساهم في صناعة صور نمطية عن الإنسان العربي والمسلم، وكرّس تمثيلات عنصرية وثقافية تقلل من إنسانيته. وضرب مثالًا على ذلك بالممارسة البريطانية في مصر، حيث رفض الاحتلال البريطاني استخدام مصطلح "احتلال"، مفضلًا الإشارة إلى"الوجود البريطاني" هناك. كما استدل بخطاب آرثر بلفور الذي أكد خلاله على حتمية سيطرة بريطانيا استنادًا إلى تصور مسبق بانحطاط الشرق.

كما لاحظ سعيد أن كثيرًا من الباحثين المتخصصين في الشأن العربي يعملون بشكل غير مباشر في خدمة السياسات الأمريكية، حيث تتسم كتاباتهم بنزعة أبوية تقلل من أهمية المجتمعات العربية وتصب اهتمامها في دعم قضايا الكيان الصهيوني، مع تجاهل شبه تام لقضايا الشعوب العربية.

أخيرًا، يرى سعيد أن الاستشراق في صيغته الحديثة استمر في تغذية علاقات تبعية اقتصادية وثقافية بين الغرب والعالم العربي، متخفيًا خلف ادعاءات الشراكة والصداقة، بينما يرسخ في العمق التبعية والتشييء الثقافي للعرب والمسلمين. وهكذا يغدو الاستشراق، وفق سعيد، نموذجًا لكيفية توظيف المعرفة لخدمة مشاريع السلطة والهيمنة.[1]

1–بن رجم، فلسفة الاستشراق عند ادوازد سعيد، مرجع سابق، بتصرف.

ثانيا: مظاهر السلطة في الخطاب الاستشراقي

1-الامتياز السياسي في الخطاب الاستشراقي:

يرى إدوارد سعيد أن الفكر الغربي يعاني من تمركز معرفي حول الذات، يتجلى في إقصائه المتواصل لكل ما يُمثّل "الآخر". وقد تأثر سعيد في تحليله هذا بأعمال ميشال فوكو وجاك ديريدا، من حيث اعتبار الخطاب أداة للهيمنة الرمزية، والكتابة عن الآخر شكلاً من أشكال التمثيل القائم على تهميشه وإخضاعه. هذا التمركز يُنتج خطاباً استشراقياً يُظهر الشرق بوصفه كياناً مختلفاً، خطيراً، وغامضاً، ويبرّر بالتالي التدخل السياسي والعسكري ضده تحت غطاء "المعرفة."

ورغم أن سعيد لم يسعَى صراحة إلى تأطير دراسته ضمن ما يُعرف بالخطاب السياسي، إلا أنه وجد نفسه وجهاً لوجه أمام طبيعة سياسية صريحة لهذا الخطاب، إذ أن الاستشراق، من حيث هو إنتاج معرفي، يُوظَّف في خدمة المشاريع الإمبريالية، ويُنتج صوراً استراتيجية تساهم في توجيه السياسات الخارجية للدول الغربية. فمثلاً، استند نابليون في حملته على مصر إلى معرفته المتراكمة من المستشرقين، حيث شكّلت بياناته للمصريين نموذجاً واضحاً لاستعمال الخطاب الثقافي كغطاء لاحتلال عسكري.

إن ما يصفه سعيد بـ"الامتياز السياسي للاستشراق" يتجلى أيضاً في تبريرات بلفور لاحتلال بريطانيا لمصر، لا عبر أدوات القوة التقليدية، بل عبر "المعرفة" التي يملكها الغرب عن الشرق، ما يجعل الاستشراق ذاته جزءاً من ترسانة القوة السياسية الغربية. وفي هذا الإطار، يوضح سعيد أن المفكر الغربي لم يكن خارج منطق الهيمنة، بل خضع لقوانين خطابية تفرض عليه الكتابة ضمن أنساق محددة.

وفي حين تم تحليل بنية الاستشراق في مواضع سابقة، فإن ما يهم هنا هو التوظيف السياسي لهذه البنية، عبر أربعة مرتكزات رئيسية حددها سعيد: الامتداد الإمبريالي، التفاعل التاريخي القسري، التحديد الهوياتي من خلال الآخر، وآلية التصنيف القيمي. ورغم أن هذه

المرتكزات ظهرت في القرن الثامن عشر، إلا أن امتداداتها المعاصرة ما تزال حاضرة، خاصة في خطاب الإعلام الغربي بعد الحرب الباردة، حيث أُعيد إنتاج "الآخر الإسلامي" بوصفه تهديداً جديداً يحفظ للغرب تمركزه السياسي والثقافي

2- علاقة الاستشراق بالكولونيالية و الهيمنة الامبريالية:

يُعد كل من الكولونيالية والإمبريالية من أبرز الظواهر السياسية التي طبعت العلاقة بين الغرب والشرق منذ القرن السادس عشر، وبلغت ذروتها في القرنين التاسع عشر والعشرين.

الكولونيالية (Colonialism): هي نظام من السيطرة يُمارَس من طرف دولة قوية على أراضٍ أجنبية بهدف إخضاعها سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا، وغالبًا ما يتم ذلك تحت مبررات "تمدين" الشعوب الأصلية.

الإمبريالية (Imperialism) : فهي مفهوم أوسع يشير إلى السياسات والممارسات التي تهدف إلى بسط النفوذ والسيطرة على مناطق وشعوب خارج الحدود الجغرافية للدولة، سواء من خلال الاحتلال المباشر أو عبر آليات السيطرة غير المباشرة كالنفوذ الثقافي والمعرفي والإعلام.

من هذا الإطار، لعب الاستشراق دورًا مركزيًا في تمهيد الطريق للمشروع الكولونيالي الإمبريالي، وذلك عبر بناء جهاز معرفي متكامل عن الشرق تم توظيفه سياسيًا واستراتيجيًا. وكما بيّن إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق، لم يكن هذا الحقل المعرفي محايدًا، بل تأسس في ظل علاقات غير متكافئة بين الشرق والغرب، وأنتج معرفة مصوغة من منظور القوة، تسوّغ التدخل والسيطرة الغربية على الشرق. فقد صوّر المستشرقون الشرقَ كمنطقة عاجزة عن حكم نفسها، مليئة بالتخلف والخرافة والاستبداد، مما يبرر "الرسالة الحضارية" للغرب [1].

1-سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة كمال أبو ديب، القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2003، ص44-45.

وقد تحولت المعرفة الاستشراقية إلى أداة من أدوات الإمبريالية؛ إذ ساهمت في بناء صورة ذهنية ثابتة عن الشرق تُستخدم لتوجيه السياسات الاستعمارية. فقد رافق المستشرقون البعثات الاستعمارية وقدّموا تقارير لغوية ودينية وسكانية كانت أساسًا لإدارة المستعمرات. على سبيل المثال، وفّرت الدراسات الاستشراقية خلفيات معرفية مهمة للحملة الفرنسية على مصر عام 1798، حيث أُنشئت "مطبعة الشرق" وطُبعت فيها نصوص باللغة العربية تسوّغ الوجود الفرنسي وتعد المصريين بالتنوير.علاوة على ذلك، استمر الأثر الاستشراقي حتى بعد نهاية الاستعمار المباشر، إذ بقيت صور الشرق التي أنتجها الخطاب الاستشراقي تُستعمل في الإعلام والعلوم السياسية والعلاقات الدولية. وقد أشار طارق بوربة Tarik Bouguerba إلى أن الاستشراق الأمريكي – وإن لم يكن جزءًا من مشروع استعماري مباشر – قد أعاد إنتاج الصور النمطية التي تخدم الهيمنة الثقافية والسياسية للغرب على الشرق، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001.

وفي السياق ذاته، يرى الحاج بشير ساني حاميت Elhadji bachir sani Hamet أن الاستشراق لم يكن مجرد مرآة لتمثيل الشرق، بل أداة لتشكيله وإعادة إنتاجه بما يتلاءم مع منطق القوة الإمبريالية. فالمعرفة ليست بريئة، بل تابعة لشبكة السلطة، وهو ما يجعل من الاستشراق بنية معرفية استعمارية تم توظيفها على نحو منهجي لإعادة صياغة العالم الشرقي بما يخدم مراكز النفوذ الغربي[1].

1-Hamet, Elhadji Bachir Sani. "Orientalism: From Expeditions to Colonialisation." Universal Journal of History and Culture, 5(2), 159–177, 2023, p160-165.

ثالثا: الاستشراق و جدلية المعرفة و السلطة

1-الأركيولوجيا المعرفية للسلطة عند ميشيل فوكو:

انطلق ميشيل فوكو من مشروع فلسفي نقدي طموح في محاضراته بـ Collège de France، حيث قدم تحليلات معمّقة لطبيعة السلطة في المجتمعات الحديثة، موضحاً أن السلطة لا تُمارس من أعلى فقط، بل تتغلغل في تفاصيل الحياة اليومية، من المؤسسات الكبرى إلى العلاقات الفردية. في هذا السياق، تتخذ السلطة شكل خطاب، وتُنتج المعرفة لا بوصفها موضوعًا حياديًا، بل كآلية لإعادة إنتاج السيطرة.

يؤكد فوكو أن السلطة لا تفرض نفسها فقط من خلال العنف أو القوانين، بل من خلال ما يُنتَج من "معرفة"، أي أن العلاقة بين السلطة والمعرفة علاقة تداخل لا انفصال. في قوله إن "التاريخ ليس سوى السلطة وقد تحولت إلى خطاب علمي"، يتجلى هذا الربط العميق. فالسلطة وفق رؤيته ليست نتاجًا للمعرفة كما ترى النظريات الأيديولوجية التقليدية، بل على العكس: المعرفة تنشأ من السلطة وتُستخدم لتثبيت موقعها.

لا تتحدد السلطة هنا في موقع بعينه، بل تنتشر في كل مكان: في خطاب الطبيب، والمدرّس، والأب، والسياسي. ولذا، فكل حقل معرفي يفترض – ويؤسس – علاقات سلطة ضمنية. إن الثنائية "معرفة/سلطة" ليست علاقة تعاقدية بل تبادلية، حيث تنتج الواحدة الأخرى دون تطابق تام.

ويُصرّ فوكو على أن المعرفة التي تنتجها السلطة ليست موضوعية ولا مستقلة، بل مرتبطة بمصالح وتوجهات سياقية محددة. فالمعرفة تُستخدم لضبط الأجساد، تشكيل الهويات، وإنتاج أنماط الطاعة والخضوع.[1]

1-رمضاني، كريمة، وعمراني، عبد الكريم. وائل حلاق وإعادة قراءة فوكو في نظرية المؤلف وجدلية الخطاب والمعرفة والسلطة. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، 10(3)، 359–370، 2021، بتصرف.

2- اشكالية تعميم علاقة السلطة بالمعرفة:

تبقى العلاقة التي أشار إليها فوكو بين المعرفة والسلطة إطارًا نظريًا قويًا لفهم آليات إنتاج الخطاب الاستشراقي في السياق الأوروبي الحداثي. غير أن هذا النموذج لا يبدو قابلًا للتعميم في سياقات حضارية أخرى؛ إذ لم تشهد حضارات كبرى كالصين أو الهند أو العالم الإسلامي أنماطًا مماثلة من الخطابات المعرفية المترابطة مع مشاريع استعمارية منظمة.

تشير التحليلات إلى أن الحضارة الإسلامية، رغم امتلاكها إمبراطوريات كبرى، لم تُنتج خطابًا معرفيًا مسيّسًا على النمط الأوروبي، إذ تأسست المعرفة فيها ضمن نظام أخلاقي مستقل، مدعوم بمؤسسات مثل الوقف، حافظت على استقلالية العلماء والمؤسسات المعرفية ومنعت تحويل المعرفة إلى أداة للسلطة. كانت الشريعة في هذا السياق منظومة قانونية وأخلاقية متكاملة، لا تخضع للسلطة التنفيذية، إذ كانت السيادة فيها للشريعة وليس للحاكم، على عكس نماذج الدولة الحديثة في الغرب. كما أن التمويل الوقفي للمؤسسات العلمية ساهم في نشوء مجتمع مدني مستقل، حيث ظل الإنتاج المعرفي بعيدًا عن التوجيهات السياسية، ما جعل الخطاب الإسلامي مقاومًا لتوظيف المعرفة كأداة للهيمنة. ومثال ذلك فريضة الجهاد، التي بالرغم من طابعها القانوني، بقيت فعلًا دفاعيًا محدودًا بالزمان والمكان، ولم تتحول إلى أداة لتشكيل "الفرد المواطن" أو ضبط الهوية كما في نماذج الحداثة الغربية. وفي هذا السياق، يطرح الباحثون تساؤلات حول مدى إمكانية تطبيق نظرية العلاقة بين المعرفة والسلطة، كما وصفها فوكو، على مجتمعات غير أوروبية أو ما قبل الحداثة، ومدى إمكانية وجود أنظمة رقابة مماثلة خارج السياق الغربي ما بعد التنوير.

على صعيد العالم الإسلامي، لم تكن مفاهيم السيادة أو الدولة القومية معروفة قبل التماس مع الكولونيالية الأوروبية، إذ كانت الشريعة بحكم طبيعتها الأخلاقية والاجتماعية فوق السلطة، وليست أداة بيدها، مما حال دون امتلاك الدولة لمفهوم السيادة الحديث. ومع ظهور الدولة الحديثة، وظهور الجامعة كمؤسسة تابعة للسلطة تمولها وتخضع لتنظيمها، تغيرت العلاقة بين المعرفة والسلطة لتصبح المعرفة أداة لإدارة الدولة بدلاً من نقدها.

ويُبرز التحليل أيضًا البُعد الفلسفي للهيمنة الغربية، المرتبط بفكرة "السيطرة على الطبيعة" التي انطلقت من اللاهوت المسيحي وتطورت عبر مشروع العقلانية العلمية والحداثة التنويرية. هذا المشروع لم يكتفِ بإخضاع الطبيعة، بل امتد ليشمل الإنسان ذاته، فأسس نظامًا معرفيًا يقوم على التوجيه والتسيير والضبط. وبالتالي، لم تكن السيطرة على الطبيعة حدثًا عارضًا، بل بُنية فكرية منهجية شكلت أساس الرؤية الغربية للعالم وطريقة السيطرة على الإنسان، مما يكشف أن النظام المعرفي الحداثي ليس محايدًا بل متجذرًا في منطق الهيمنة[1].

1– وائل حلاق، نقد الاستشراق: إعادة بناء المعرفة الحديثة، ترجمة عمرو عثمان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2022، بتصرف.

خلاصة:

يتّضح من خلال هذا الفصل أنّ نقد إدوارد سعيد للاستشراق لم يكن مقتصرًا على الجوانب الثقافية أو المعرفية فحسب، بل تجاوز ذلك ليكشف عن التواطؤ البنيوي بين المعرفة والسلطة في تشكيل صورة الشرق. لقد أبرز سعيد كيف أن الخطاب الاستشراقي لم يكن مجرد إنتاج معرفي محايد، بل كان جزءًا من منظومة سلطوية تسعى إلى ترسيخ الهيمنة الغربية عبر أدوات معرفية تبدو موضوعية. كما كشف عن الأبعاد السياسية لهذا الخطاب، الذي وظّف المعرفة لخدمة مصالح استعمارية، مما جعل من الاستشراق أداة فاعلة في تعزيز السيطرة لا فقط عبر القوة، بل أيضًا عبر صناعة التمثلات والتصورات. إن العلاقة الجدلية بين المعرفة والسلطة في الخطاب الاستشراقي، كما عرضها سعيد، تعيد تشكيل فهمنا للكيفية التي يتم بها إنتاج المعرفة في سياقات غير بريئة، وتدفع نحو مساءلة الأطر المعرفية الغربية التي طالما ادّعت الحياد والموضوعية، بينما هي في العمق محمولة على خلفيات أيديولوجية وسلطوية.

الخاتمة:

الخاتمة:

انطلقت هذه الدراسة من إشكالية مركزية تمحورت حول الكيفية التي قام بها إدوارد سعيد بتفكيك الخطاب الاستشراقي وكشف أبعاده المعرفية والسلطوية، في سياق نقد شامل للممارسات الفكرية الغربية تجاه الشرق. وقد حاولنا من خلال فصول هذا البحث معالجة أبعاد هذه الإشكالية، وفق خطة منهجية تناولنا فيها أولًا الإطار المفاهيمي والتاريخي للاستشراق، ثم خصصنا فصلًا ثانيًا للتعريف بمرجعية سعيد الفكرية وتفكيكه لبنية الخطاب الاستشراقي، لنصل في الفصل الثالث إلى دراسة العلاقة الجدلية بين المعرفة والسلطة في هذا الخطاب، كما صاغها سعيد.

من خلال ما تم التوصل إليه، يمكن القول إن إدوارد سعيد قد أسّس لنقلة نوعية في فهم الاستشراق، من خلال تفكيكه لمجموعة من المسلمات التي حكمت رؤية الغرب للشرق. فقد أبرز سعيد أن الاستشراق ليس مجرد تراكم معرفي، بل هو خطاب مؤدلج يعمل على ترسيخ صورة نمطية عن "الآخر" الشرقي، تخدم في عمقها مشاريع الهيمنة والاستعمار. كما أظهر أن هذا الخطاب يستمد قوته من تحالفه مع مؤسسات السلطة (السياسية، الأكاديمية، والثقافية)، مما يجعل من إنتاج المعرفة عملية غير بريئة، بل مشروطة بالبُنى السلطوية.

وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة توافقًا كبيرًا مع الأدبيات السابقة التي سارت في نفس الاتجاه النقدي، كأعمال غاييتري سبيفاك وهومي بابا في دراسات ما بعد الاستعمار، مع تميز مقاربة سعيد بتركيزها العميق على العلاقة البنيوية بين المعرفة والسلطة، واستحضارها للتاريخ الكولونيالي الغربي في تحليل الخطاب المعرفي. إلا أن هذه الدراسة حاولت أن تقدم إضافة علمية من خلال الربط التحليلي بين البُنى الخطابية والممارسات السلطوية في السياق المعرفي الغربي، وكذا من خلال التطرق إلى أبعاد الاستشراق الكامن والظاهر في خطاب الهيمنة المعاصرة.

ومن خلال ما سبق، يمكن استشراف مجموعة من الآفاق المستقبلية لموضوع الاستشراق، تتمثل أساسًا في ضرورة تجديد النظر في مناهج إنتاج المعرفة حول الآخر، وتطوير مقاربات نقدية تتجاوز المركزية الغربية، مع استثمار الطروحات ما بعد الاستعمارية في قراءة التمثلات المعرفية والثقافية في العلاقات الدولية الراهنة. كما تبرز الحاجة إلى مقاربات محلية مضادة قادرة على تفكيك الصور النمطية السائدة وتقديم بدائل معرفية نابعة من الواقع الثقافي والسياسي للمجتمعات غير الغربية.

قائمة المراجع

المصادر:

1- سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة كمال أبو ديب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1995.

2-سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة كمال أبو ديب. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2003.

المراجع العربية:

1-أحمد سمايلوفيتش. فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر. دار المعارف، القاهرة، 2001.

2-أحمد عبد الحميد غراب. رؤية إسلامية للاستشراق. المنتدى الإسلامي، ط2، القاهرة، 1991.

3-أحمد مختاري. معجم اللغة العربية. دار الكتاب، القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م.

4-أبو الحسن علي هاشم. الاستشراق والاستغراب. مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، السنة 25، العدد 25، 2016.

5-أبو الحسن علي الندوي. الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين. مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ط1.

6-أبو القاسم سعد الله. من تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري. ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

7-بلقزيز، عبد الإله. صورة الشرق عند الغربيين. صحيفة الخليج، 25 فبراير 2024، منشور على موقع إيلاف.

8-بوعنانة، أحمد. صورة الإسلام والمسلم الآخر في الإعلام الغربي: عوامل التشكيل وسبل التغيير. مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 1، العدد 47، 2017.

9-جابر قميحة. آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم. مجلة دعوة الحق، مكة المكرمة، عدد 116، 1412هـ /1991م.

10-سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة كمال أبو ديب. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1995.

11-سعيد، إدوارد. الاستشراق. ترجمة كمال أبو ديب. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2003.

12-عبده الراجحي. التطبيق الصرفي. دار النهضة العربية، بيروت.

13-عبد الجليل عبده شلبي. صور استشراقية. الكتاب الأول، سلسلة البحوث الإسلامية، 1398هـ /1978م.

14-عابد بن محمد السفياني. المستشرقون ومن تابعهم.

15-محمد إسماعيل. الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: مدخل علمي لدراسة الاستشراق. د. س. ن.

16-محمد العربي معريش. الاستشراق الفرنسي في المغرب والمشرق من خلال المجلة الآسيوية. دار الغرب الإسلامي، تونس، 2003.

17-محمد رشاد خليل. المنهج الإسلامي في دراسة التاريخ وتفسير سلسلة دفاع عن التاريخ الإسلامي. قسم الثقافة الإسلامية، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية.

18-محمود حمدي زقزوق. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري. مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1985.

19-مصطفى السباعي. الاستشراق والمستشرقون. دار الوراق للنشر والتوزيع.

20-مغلي محمد البشير. مناهج البحث في الإسلاميات لدى المستشرقين وعلماء الغرب.

21-ماضي محمود. الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي. دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 1996.

22-المحتسب، عبد المجيد. اتجاهات التفسير في العصر الراهن. منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، الأردن، 1982.

23-النعيم، عبد الله. الاستشراق في السيرة النبوية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1997.

24-بن رجم، عبد القادر، وسليماني، فريدة. فلسفة الاستشراق عند إدوارد سعيد (مذكرة ماستر). جامعة 8 ماي 1945 – قالمة، 2017.

المراجع الأجنبية:

1-Said, Edward W. Orientalism. Pantheon Books, 1978.

2-Irwin, Robert. For Lust of Knowing: The Orientalists and Their Enemies. Allen Lane, 2006.

3-Gibb, H. A. R. The Muslim World: A Historical Survey. Oxford University Press, 2003.

4-Krämer, Gudrun. A History of Islam in the Modern World. Princeton University Press, 2011.

5-Tlostanova, Madina. A Janus-Faced Empire: Notes on the Russian Empire in Modernity, Written from the Border. Novoe Literaturnoe Obozrenie, Moscow, 2010.

6-Loomba, Ania. Colonialism/Postcolonialism. 2nd ed., Routledge, London, 2005.

7-Breckenridge, Carol A., & van der Veer, Peter. Orientalism and the Postcolonial Predicament. University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1993.

8-Bouguerba, Tarik. "American Orientalism and Vestiges of European Colonialism." Global Journal of Human-Social Science: Arts & Humanities – Psychology, 18(5), 2018.

9-Hamet, Elhadji Bachir Sani. "Orientalism: From Expeditions to Colonialisation." Universal Journal of History and Culture, 5(2), 2023.

القواميس:

1-العربية:

1-سهيل إدريس. المنهل، قاموس فرنسي عربي. دار الأدب، بيروت، 2010.

2-الأجنبية:

1-Le Petit Larousse Illustré. Atlas Géographique, Drapeaux du Monde. Paris, 2008.

2-Le Robert. Dictionnaire historique de la langue française. Paris, 1992.

3-Le Littré. Dictionnaire de la langue française. Paris, 2001.

4-Michel Foucault. Les mots et les choses. Gallimard, Paris, 1966.

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات:

الاهداء

الشكر

ملخص

مقدمة: ..... أ

الفصل الأول: أالاستشراق دلالاته و محطاته

مدخل: 5

أولا : مفهوم الاستشراق 6

1- الاستشراق لغة : 7

2- الاستشراق اصطلاحيا: 7

3-أهداف الإستشراق: 10

أولاً / الهدف الديني : 11

ثانياً / الهدف العلمي: 13

ثالثا / الهدف الاقتصادي 14

رابعا/ الهدف السياسي: 15

خامسا/ الهدف الثقافي 15

ثانيا : نشأة الاستشراق و تطوره 17

1-نشأته 17

2- تطور حركة الاستشراق في القرن التاسع عشر: من التنظيم المؤسسي الى التوسع الاكاديمي 18

1-تأسيس الجمعيات الاستشراقية: 18

2-إصدار المجلات والدوريات الاستشراقية: 19

3-المؤتمرات الدولية للمستشرقين: 21

4- تأثير الاستشراق على الدراسات الأكاديمية: 22

ثالثا : الاستشراق بين الرفض و التأييد 24

1-المواقف الرافضة للاستشراق: 24

2-المواقف المؤيدة للاستشراق: 28

خلاصة الفصل 31

الفصل الثاني: ماهية الاستشراق عند اوراد سعيد

مدخل: 32

اولا: التعريف بادوارد سعيد 33

1-المؤثرات الفكرية المبكرة: 33

2-تكوينه و دراسته: 34

3- مؤلفاته: 35

ثانيا: تعريف ادوارد سعيد للاستشراق 37

ثالثا: بنى الاستشراق للاستشراق الكامن و الاستشراق الظاهر 41

1-بنى الاستشراق: 41

أ. التوسع الشرقي (L'extension de l'Orient): 41

ب. المجابهة التاريخية: 42

ج. التلبُّس المتعاطف(L'identification Sympathique): 42

د. التنميط(Stereotyping): 43

2- الاستشراق الكامن و الاستشراق الظاهر: 44

أ- الاستشراق الكامن: 45

ب- الاستشراق الظاهر:. 46

رابعا: التمثيل الغربي للاستشراق 48

1- الاستشراق كأداة لإنتاج المعرفة الموجّهة: 48

2-آليات التمثيل في الأدب والفن والسياسة: 48

3-نقد الاستشراق بوصفه خطابًا مؤسسيًا للهيمنة: 50

خلاصة: 51

الفصل الثالث: المعرفة و السلطة في نقد ادوارد سعيد للاستشراق

مدخل: 53

أولا: المعرفة في استشراق ادوارد سعيد 54

1- معرفة الغرب للشرق: 54

2-صورة الاخر (الشرقي) في مخيال الانا (الغربي): 56

3-تمثيل الغرب للشرق: 58

ثانيا: مظاهر السلطة في الخطاب الاستشراقي 60

1-الامتياز السياسي في الخطاب الاستشراقي: 60

2- علاقة الاستشراق بالكولونيالية و الهيمنة الامبريالية: 61

الكولونيالية(Colonialism): 61

الإمبريالية (Imperialism) : 61

ثالثا: الاستشراق و جدلية المعرفة و السلطة..... 63

1-الأركيولوجيا المعرفية للسلطة عند ميشيل فوكو: 63

2-وائل حلاق: نقد تعميم علاقة السلطة بالمعرفة: 64

خلاصة: 66

الخاتمة: 74

قائمة المراجع 76